شعر

فوزي البكري

قناديل على السور الحزين

عدد الأربعين ٢٩٢

فوزي البكري

قناديل على السور الحزين

شعر

2013

قناديل على السور الحزين
شعر
فوزي البكري

Lanterns On The Wall
A Collection of poetry
Fawzi Albakri

رسم الغلافين واللوحات الداخلية
الفنان الفلسطيني عدنان الزبيدي

حقوق الطبع محفوظة للصعاليك
صدرت الطبعة الورقية الأولى في القدس عام 1997

فوزي البكري شاعر فلسطيني يعيش في القدس
www.fawzibakri.org

مونتاج وإعداد رقمي:
جمال القواسمي

القدس
كانون أول 2013

شكر

جزيل الشكر إلى الصديق الفنان عدنان الزبيدي الذي تفضَّل باهدائي غلافيّ الكتاب ولوحاته الداخلية..
جزيل الشكر إلى الصديق الاديب جمال القواسمي الذي تفضَّل متطوعاً بصف الكتاب ومونتاجه..
وإلى جميع «أولاد الحلال» الذين أسهموا مادياً ومعنوياً في إخراج هذا الديوان إلى... الظلام!!

إهداء

إلى أرواح شهدائنا الابرار الذين أكاد أراهم، في الجنَّة، يتقلَّبون على نار الغيظ والمرارة.. لا سيما ثلاثة الشهداء العظام رمزاً وأمثولة ورسالة: عزّ الدّين القسَّام وغسَّان كنفاني وناجي العليّ.

إلى روح والدي الذي مات قهراً في أول مراحل المرحلة، وقد أورثني ذلك القهر، فما زلتُ أكابده ويكابدني.

إلى صاحب العبقرية الفذَّة، المَنْسي تعتيماً، في مثلث برمودا الفلسطيني، الباصق في وجه المرحلة بلعاب لا ينضب، والمُضاء بنار الوعي والحزن والالتزام حتى الاحتراق... أحمد حسين.

إلى المناضل الذي خرق بنضاله نواميس الفَلَك السَّيّار، فقد بدأ بدراً وظلَّ بدراً، فيما تساقطت من حوله الاقمار الاصطناعية على رؤوس الناس،

فاطفأت وانطفأت... بدران جابر.

ثم إلى شعبنا، من قبلُ ومن بعدُ، جوهر الكلمة وغايتها. ذلك المثل النادر بين الشعوب، فقد ظلَّ حيَّاً قائماً رغم كلِّ ما حِيْكَ ويُحاكُ لتحويله إلى شعب سابق..

إلى ذكرى أولئك وعقبى هؤلاء، أهدي هذه الآهة المبحوحة، لا ريب، في ضجيج المرحلة، لعلَّها واجدة طريقها إلى آذان لم تفقد، بعدُ، حسيسَها..

ف.ب

مقدمة الديوان

بقلم الشاعر أحمد حسين

الشعار هو محاولة اقتراب نثرية من الشعْر، محاولة لشحن الكلمات بطاقات غير عادية، واستغلال إيقاعية الفكر واللغة في خلق نصٍّ مؤثِّر. ومن الناحية الشكلية فانَّ هذا الكلام ينطبق على الشعر أيضاً في سعيه نحو منصبيِّة الشعار وقدرته على الاسترسال في الزمن والثقافة. ما يفرق - أو ما يجب أن يفرق - بين الاثنين هو أن الشعر يحاول ان يخفي استعلاءَه بوسائل قريبة من السِّحر كالإدهاش والاستئناس وإثارة الشجن، بينما يتوقف مدى نجاح الشعار على الاستعلاء العلني والمواجهة الحازمة واستدعاء المباشرة والغيبية. أي ان هذا الأخير في النهاية، وبغض النظر عن مصداقيته، هو ظاهرة «هيلمانية» هجومية، في مقابل الشعر الذي هو ظاهرة إغواء.

والشعار - على هذا الاساس - هو لغة التاريخ المُعْتَمدة. هو اللغة السُّلطانية المُناهِضة للعقل والإحساس والإرادة في

علاقة البشر بتاريخهم الحقيقي، وبالتالي بذواتهم. وإذا كان البشر صياغة تاريخية - كما يُقال - فإنَّهم ليسوا صياغة مباشرة لوقائع حياتهم او حياة من سبقوهم، وإنَّما هم صياغة لوصف هذه الوقائع وتفسيراتها وإيداعاتها في الفهم بلغة الشعار- لغة التاريخ الرسمية. وبالمقابل، فإنَّ الشعر هو لغة التناقض الناشيء عن هذا الوضع الذي يضع الإنسان بين ما هو عليه قسراً، وبين تصوراته عن نفسه وعن العالم. هذه الأزمة الجوهرية المستمرَّة بين الشعر والشعار هي اساس ما يسمَّى بإشكالية الحرية والمصير.

إذن، العلاقة بين الشعر والشعار وثيقة على مستويين: مستوى القصد المشترك في التأثير على العينة ذاتها - أناس كما هم - وما يخلق ذلك من تشابه ومفارقة بينهما، ومستوى أنَّ كليهما طرفان لأزمة واحدة تقع بين الدَّعوة الى مفارقة الذات والدعوة الى البحث عنها. وبالتالي فهي أزمة بين الفرد وثقافته، بين خضوعه لإملاء الذات او اكتشافها. وبالاستطراد مع تعييناتها الاكثر تجسُّداً هي أزمة بين التراث والإبداع، بين إرهابية اللغة واباحية الفكر، وأخيراً بين الكتاب المقدَّس - أيَّ كتاب - وديوان الشعر.

لقد استطاعت الكتب المقدسة - ما اعرفه منها - أن تحقِّق أقصى اقتراب ممكن للشعار من الشعر. جمعت بين أقصى ما يمكن ان تبلغه اللغة من استعلاء وسلطانية وبين أقصى ما يمكن ان يبلغه الشعر من قدرة على الإغواء والإثارة، مُحقِّقة بذلك اكبر فعل تاريخي للشِّعار في البشر. فماذا عن محاولة الشعر الاقتراب من الشعار؟

إنَّها نفس القصة. فمنذ الكهانة الأولى والشعر الأول كانت

العلاقة بين الطرفين كالعلاقة بين الرجل والمرأة، اندفاع عدواني نحو امتلاك كل طرف ما ينقصه في الطرف الآخر. ولم يُغْرَم الشعر قديما وحديثاً بشيء كما أُغْرِمَ بالأسطورة. والأسطورة ليست مجرَّد نصٍّ مقدَّس بالنشأةِ فقط، وإنَّما هي أرقى نصٍّ مقدَّس استطاع مشروع الهيمنة التوصُّل اليه قبل انفصال الشعر والكهانة عن بعضهما.

يبدو الأمر، إذن، وكأنَّ مشروع الشعر ومشروع الشعار يلتقيان في النهاية عند نقطة واحدة هي الجمع بين تأثير الشعر والشعار معاً في نصٍّ واحد، ولهدفين مختلفين. فمشروع الحرية، أي المشروع الشعري، مع أنه يبدو وكأنه هدف ذاته، إلا أنه يتضمَّن محاولة واضحة للانفلات من المشروع الحضاري. بينما يهدف هذا الأخير الى تحقيق نصٍّ اجتماعي محدَّد وموحَّد يخدم اهداف السيطرة وصياغة العينة البشرية الملائمة لمرحلة النصّ. وهذا التضاد في الاهداف هو ما يحدِّد الفرق بين خصائص النص الشعري والنص الشعاري من حيث الشكل والمضمون - وبقطعيّة تامة في التلقِّي - رغم تجانس الخامات التي تشكِّل النصَّ في الحالتين:

إنَّ كنتُ قلتُهُ فقد علمتَهُ (شعار متحقِّق في الشعر.)
رفقاً بالقوارير (شعر متحقِّق في الشعار.)

ولستُ بسبيل الاسترسال في محاورة هذا الادِّعاء من جانبي، فالموقف لا يتَّسع لذلك. ما قصدتُ الوصول اليه هو أن الشاعر محكوم بأن يعيش أزمة الشعر والشعار في طريقه نحو تحقيق الشعر، وانَّ معظم الشعراء يفقدون الشعر في طريقهم الى الشعار بحسن نية (عجز الموهبة) او بسوء نية (المهمة البديلة)

فيحقِّقون الشعار دون الشعر، ويفقدون الاثنين معاً. قليل منهم يستطيع ان يحقِّق الشعر ويلامس الشعار بدرجات متفاوتة، او حتى ان يتبنَّى الشعار - تحت ظروف معينة - دون أن يفقد الشعر. وفي اعتقادي أن فوزي البكري هو واحد من هؤلاء.

يثقل عليَّ في كتابة هذه السطور أمران: احدهما أنَّني مجرَّد مُدَّعٍ في «علم» المقدِّمة، لا احمل من مناهجه ومصطلحاته ما يكفِّي عشاء لـِ «د. دجاجة»، بدالين في أولها، ولم أدرس الأدب العربي بلغة أجنبية، والثاني أن فوزي البكري هو - للأسف - صديقي الحميم. وكلا الأمرين كما ترون ليسا في صالحي او صالح الشاعر، لأنَّهما لا يتركان لي أية مصداقية مسبقة، وتصبح اية مصداقية لاحقة رهناً باقتناع القارئ بأمانتي، وتجنُّبي للتشبُّه بـِ «علماء» المقدِّمة المُجازين.

أما عن نفسي فقد قدَّمتها بأقصى ما استطيع من الصدق. وأما الشاعر، وهو في هذه الحالة فوزي البكري، فإنَّه لا يترك لمن يعرفه مجالاً للتكلُّف في الكتابة عنه. إنه عينة نادرة، مكشوف من جميع جوانبه، وصادق حتى الفضيحة، عدواني لبق، وغاضب يقدِّس الضدِّية بشكل تلقائي. وقد تبدو هذه الظواهر كلها مرضيَّة - وهي كذلك فعلاً - ولكنَّها كلها أيضاً مبرَّرة من حيث كونه فلسطينياً يعرف أنه من عيِّنة مُعرَّضة للانقراض.

العدوانية، من جانبه، والغضب والضدية التلقائية هي مجرَّد وسائل دفاعية يائسة. شرعية لكن لا طائل تحتها، سوى أنها تجعل منه شاعراً في سياق خاص. هذه الخصوصية لدى فوزي البكري، وإنْ لم تتعدَّ المضمون الى الشكل في بعض الاحيان بحيث يُذكِّرك بأكثر من نفس شعري، إلا أنَّها تبقى لونه الخاص، الذي يصنع بتدرُّجاته وانبثاقاته المدهشة في اكثر من موقع

لوحةً من لوحات شعر الرفض الفلسطيني، لا يحقُّ لأحد غير فوزي البكري ان يضع توقيعه عليها.

وفوزي شاعر يهمل موهبته ومشروعه الشعري اهمالاً شديداً. فقد سيطرت عليه الضدِّية والغضب الى درجة أنَّه لم ينشغل بتطوير موهبته او أداته الشعرية بمدى ما انشغل بحرارة التعبير، والتنفيس عن كيديته تجاه ظواهر السقوط والانتهازية التي دمَّرت حلمه الوطني ومعقولية التزامه الجماعي. ولولا أنَّه يكتب الشعر بذات الصدق الذي يتنفَّس به لفقد الكثير مما يجعله شاعراً فريداً. هذا الانسياق مع معاناة الغضب، وحدِّة الموقف الرافض تجعلني أتصوَّر فوزي وهو في عنفوان غضبه يقذف المرحلة بما تيسَّر دون ان يستثني لغةً او نهجاً او قالباً من قوالب التعبير يقع في متناوله.

في هذه الحالة المُفعمة بالتلقائية، ومعاناة المضمون دون معاناة الشكل في التجربة الابداعية، ضيَّع فوزي على نفسه فرصة التألُّق والنجومية التي يوفِّرها التزام «الموضة» او الحداثة كما يقول النُّقاد، الذين يظنُّون أنَّ الحداثة هي مجرد مفارقة المألوف التعبيري، ويوزِّعون انعاماتهم النقدية على هذا الاساس. إنَّ الطاقة الشعرية لدى فوزي هي امرأة زاخرة بالجمال والحرارة ولكنَّها ترفض قضية المظهر وتُضيِّع على نفسها فرصة الاعجاب الذي تستحقه.

وفي اعتقادي ان الشاعر الذي يستطيع، ولا يريد أيضا، ان يقع في الشعار ويفقد الشعر، عليه ان يحذر اكثر ما يحذر التلقائية في الأداء. عليه ان يحاور احساساته ومضامينه وكلماته وأن يرفضها أحياناً لأنَّها قد لا تمتُّ اليه كمبدع بصلةٍ، بل إنها تمت الى ذاته الأخرى العقيمة - النموذج التاريخي -

التي يحاول الخروج عليها بالإبداع. إذْ، بالعودة الى ما سبق، فإنَّ هذه الذات العقيمة هي مجمل املاءات النصِّ السلطاني داخل المبدع. ذلك النص المكوَّن من ايداعات التاريخ الهمايوني وشعاراته التي تحاول باستمرار التدخل في سياق المعاناة والتجربة الذاتية والاستيلاء على نتائجها. ورغم رفضنا الواعي احياناً لهذا النص، إلا أننا منخرطون فيه الى درجة أنه لا يمكننا التخلص منه تماماً. كما لا يمكننا - ابداعياً - الابتعاد عنه الى درجة قطع الصلة. والمبدع هو إنسان يحاور ثقافته حواراً خلافياً، ليس لأنها قيده فقط، ولكن لأنَّ الإبداع موجود بعدها مباشرة وليس فيها. إنَّها إبداع المراحل الذي يؤدي تجاوزه الى تجاوز الشعار واللغة السلطانية الى الشعر، الى إبداعنا نحن. وفوزي من هذه الناحية عديم الحذر تماماً. بل إنَّه غارق في التلقائية الى أذنيه، يصرفه سياق الغضب والتنديد عن سياق التمعُّن في أداته فيضرب - كما قلت - بما يقع في متناول يده. ولكنَّه أحياناً يتورَّط الى درجة أنه يضرب الطبل بالعصا فتعود اليه الضربة وتشجُّه. وينقلب رفضه عليه من خلال موقف أقل ما يُقال فيه أنَّه موقف يسيطر عليه السهو:

حَرِّك عِظَامَ الغارِ تحْتَكَ
وادْنُ مِنْ قَبْرِ الحنيفةِ والحنيفْ
رُحْماكَ، ابراهيمُ،
يا جَدَّ التُّقاةِ المُرْسلينْ
هَلْ كُنْتَ إلا مُسْلِمَاً للَّهِ
سجَّاداً ومَوْسومَ الجبينْ
ما كُنْتَ سفَّاحَ الدِّماءِ

فَهَلْ نَظَرْتَ الى ضريحِكَ
كيفَ يَغْرَقُ في دِمَاءِ المُسْلِمينْ؟!

لا شكَّ أنَّ هذا الابتهال المخلص لسيدنا ابراهيم التوراتي يقرِّب فوزي من اللّه، لكنَّه يُقرِّبه أيضاً من غولدشتاين دون أن يدري. إنَّه يضيِّق الهوَّة بينهما الى درجة الاقتصار على الخلاف الطائفي، مما يقوِّي موقف غولدشتاين الى حدٍّ بعيد. وتحكيم سيدنا ابراهيم التوراتي في الموضوع أمرٌ ليس في صالح فوزي. فهو - أي ابراهيم - ذات الشخص الذي قذف بهاجر وابنها الى الصحراء إرضاءً لسارة، ومن غير المحتمل أن يقف الآن في صف فوزي ضد غولدشتاين، إذا أخذنا هذه السابقة بعين الاعتبار.

ومع أنَّ شرط الصدق في العملية الإبداعية لا علاقة له بموضوع المعرفة او حتى الصدق المعرفي، بل على العكس هو اقرب الى الموقف الوحشي والبساطة والعزلة عن وعي الالتزام المعرفي او محاورته إلا ذاتياً فقط، غير أنَّ البساطة المعرفية هي شيء غير البساطة الإبداعية. فالأولى مرتبطة بوعي الشعار، وبالتالي بالمباشرة، بينما ترتبط الثانية بالصدق والاكتشاف في مساحة غير معروفة، حيثُ يكون أي لقاء مع الذات عَرَضيّاً. والابتهال المبسَّط لدى فوزي في النصِّ الآنِف هو بساطة معرفية. لذلك ظلَّ رغم كلِّ الصدق الموضوعي، بل وبسبب هذا الصدق بالذات، مشهداً فيه كثير من الشعر، إلا أنَّ الشعار هو سيِّد هذا المشهد.

إنَّ الطاقة الشعرية التي أهدرها فوزي في انسياقه العفوي وراء محفوظات وعيه الهجري، حرمتني من فرصة التمتُّع بطلاوة الخطاب الشعري وانسيابيته وصدقه المؤسف المؤسَّس على السهو. ولكن كان يعوضني عن ذلك باستمرار من خلال

توهُّج مفاجئ يضعه في مقدمة شعراء الرفض الملتزم:

جَـلَسُوا على الارْهاب عَرْشَاً زائلاً
ووقفْتَ في قِـمَم النِّضالِ الفذِّ.. اجْـلَسْ
وَتَمَـتْـرَسُوا خَـلْـفَ النَّفيسِ مِن السِّلاحِ
وكُـنْتَ بيْنَ أصابعِ الأطْـفالِ
أغلى مِنْ طفولتِهم وانْـفَسْ
بُوْركْتَ يا وثنيَ العَظيمَ
القاهِرَ القَهَّارْ
بُوْركْتَ
أيُّهَا الحجرُ المُقدَّسْ

لقد اكتشف «الشيخ» هنا، وبشكل عرضيٍّ كامل، من خلال حيوية الفعل والانفعال والتموضع في مساحة الإبداع الحقيقية، ولنقل بشكل أكثر تحديداً من خلال جدلية المواجهة الحُرَّة، أنَّ المقدَّس هو الضروري، هو الوجداني المتماثل مع مصلحة الإنسان في الوجود. اكتشف بالصدفة الحتمية كيف يتحوَّل الحجر الى وثن، أيّ الى متعلَّق وجداني، من خلال موقع علاقته بالفعل الملتزم في مهمة الوجود. وفي لحظة إبداع غير عادية، اكتشف أيضاً معادلة جديدة للقيمة تقع خارج مألوف المقايضة، حين صوَّر الاستشهاد النفسي للطفل وهو يقايض طفولته بحجر لا بُدَّ منه لاستكمال معادلة الموقف الوجودي.

ويواصل فوزي الانزلاق، ولكنَّه أيضاً يواصل التعويض من خلال اطلالاته الإبداعية في سهو عن ذاته المهجَّرة، فيكاد يقترب من ذاته الأخرى الى درجة العناق:

الجوعُ وعدُكِ
والحصادُ المرُّ وعدي

ايمانُكِ المَغْدورُ ايماني
وذاتُ الوَجْـدِ وَجْدي
إنَّ الحياةَ
هِيَ الحياةُ بِغَيرِ قَيدِ
هِيَ رَعْشَةُ الشُّهداءِ
ما بينَ التحدِّي والتحدِّي

هذا هو بالذات جدل الوجود الذي يحاول الشعار المتخلِّف من زمن الدسيسة واستبدال الوعي أن يحول بيننا وبينه، لنعيش في جدل التخلُّف والمراوحة العبثية في التاريخ. وأيضاً:

أنْصِتْ يا مَجْروحاً في كَبِـدِ أمَـانِـيهْ
قبضاتُ اليأسِ تدقُّ ببابكَ
تَخْـلعُ متراسَ التاريخ
وتَسْحَـلُ جَوْهَرَكَ المَـنْخُورَ
على شطِّ المتوسِّط.. عريانْ

هل تسمعُ هذا الصمتْ..؟
صَمْتٌ سرياليٌّ
يَعْجزُ عن تفسيرِ بلاغتِهِ
حتَّى مَن فسَّر كلَّ المتشابِهِ في القرآنْ

يقترب في حسِّ الفجيعة حتى حافة المشهد التاريخي للنكبة كما فعل هنا، ولكنَّه - للأسف - يعود ليبتعد في التصوُّف التراثي الى تيه المغادرة بحيث لا نعود نراه. ولكنَّ الرفض في كل الحالات يظلُّ لدى فوزي سيدَ الموقف. ومن الطبيعي أنَّه ليس كل رافض مبدع، ولكن كل مبدع رافض ولا يمكن ان يكون غير

ذلك. فالإبداع هو تجاوز ثقافي أساساً، ولا يمكن أن يتم خارج دائرة هذا التجاوز إلا باستغلال الثغرة التي تتيحها خلافية التعريف من جانب بعض السطحيين. ولكن حتى الرفض السياسي المجرَّد في حالتنا نحن الفلسطينيين يُشكِّل ميزة ابداعية، لأنَّه لا يمكن لأي فلسطيني أن يكون مع المرحلة بدون أن يكون مُدجَّجاً بالتفاهة والسطحية والرداءة، التي تجعل من أية تجربة ابداعية هراء، حتى لو كان هراءً جميلاً مثل شعر نزار قبَّاني مثلاً. لذلك فلا بُدَّ أن يكون لرفض المرحلة دلالة على بُعد الاستشراف وحيوية الاحساس وإدراك الموقف الوجودي، وهي كلها أمور في صالح التجربة الإبداعية. ولكن هذه الميزة تظل ميزة جزئية، وقد تتحوَّل تحت ضغط الاتباع الى ميزة شكلية، ما لم يتحوَّل الرفض السياسي الى رفض ثقافي.

إنَّ الرفض لدى فوزي - مثل كل ظواهر الرفض الأخرى على الساحة العربية عموماً والفلسطينية خصوصاً - هو رفض ميداني محكوم بالاستعجال والعفوية التي تفرضها آنية المواجهة والحاحاتها المتسارعة. هذا النوع من الرفض يستهدف الواقعة المرفوضة في موقعها المرحلي دون أية محاولة للتمعُّن الايديولوجي او تحرِّي الخصوصية، او التشوُّف الاستراتيجي. وهو موقف مفهوم ولا غنى عنه على مستوى الحضور المضاد ومواصلة الصمود والانجاز المعنوي.

والانتفاضة مثل جيد على أهمية هذا الجانب من المواجهة، ولكن هذا - في حالتنا نحن - يجب أن يكون مقدِّمة لوعي جديد مؤسَّس على خصوصية الصراع من حيث هو تسييس

معاصر لحكاية غيبية موغلة في القدم اتَّخذت شكل الحكاية التاريخية. والمطلوب هو تحرِّي أسباب الاسترسال التاريخي الطويل لأسطورة استيطانية استطاعت أخيراً أن توظَّف في اقتحام وجودنا بكل هذا العنف والعنفوان السياسي والعسكري. مَنْ المسؤول عن هذا الاسترسال الذي تحوَّل الى واقعة ضدَّنا؟!

ولو حاول فوزي تحرِّي أسباب هذا الاسترسال لاكتشف أنَّ أي رفض من جانبه لا يتضمن رفض ذاته الهجرية هو مجرَّد موقف بطولي أساسه الغضب وحده. وهذا أمر لا يكفي في حالتنا لأنَّه يترك باب المستقبل مفتوحاً أمام استمرار المشهد التاريخي والوجداني الذي أسفر عن الواقعة الصهيونية، ويعطي لتلك الواقعة التي نرفضها حقَّ الاستفادة من الاسطورة التي نتبنَّاها. لو فطِنَ فوزي لهذا لعرف أنَّ الوطن ليس «عُش عندليب فوق مئذنة» لأنَّ عشَّاً كهذا تستطيع ان تودي به زوبعة عابرة كما حصل لنا فعلاً. وهو أيضاً وبنفس المدى ليس «بحَّة ناقوس» محكومة بحتمية التلاشي.

إنَّه، أيّ الوطن - وكما يقول هو نفسه في ذات القصيدة الرائعة رغم كل شيء - أقرب الى أن يكون «ضُمَّةً من النعناعْ تُداسُ في بوَّابةِ العمود، لا تُباعْ» او «طفلةً جائعةً في عَقبةِ السَّرايا» او «نجْمةً مَذْبوحةً في حِضْنِ أطفالِ الخليلْ.» وفي الحقيقة أن الوطنِ هو كل شيء. إنَّه جسد من الناس والتراب يحمل ثقافة وروحاً وزياً متفرِّداً. وهي أمور فقدناها كلها - او كدنا - في ضياعنا الهجري، وعلينا أن نستعيدها أو نواصل رحلتنا

العبثية في الآخَر. على ضوء هذا كله - وفي لحظة اكتشاف نادرة - يقول فوزي بكل ما يمكن للغةِ ان تحمل من صدقٍ وإبداع:

لم يبقَ في جسد الحقيقةِ
غيرُ روحِ الرفضِ
والقلبِ الفدائي

ويواصل بذات الشاعرية، ولكن بإدهاش أكثر:

تَرْكضُ الخيلُ
تعُضُّ لجاماً من حديدِ الرفضِ
والمِهْمازُ
قلْبُ الفارسِ المَشْحونِ وعياً
وأنا في سِيَاجِ القَهْرِ
أُضْحكُ مِنْ رَيِّثِ خُطاَيْ

ما اجمل هذا الشِّعر. وكم كنتُ أتمنَّى أنَّ اتوقف عنده كي لا اضطر انا - بعد قليل - الى الانفجار من الضحك على ورطة فوزي مع فرعون:

يا خفافيشَ القَوَافي
إذْرَعُوا الليلَ كَمَا شِئْتُمْ
فَإنِّي جِئْتُكُمْ
احْمِلُ في كفِّي النَّهَار

الا يكفيهم رعباً أنَّك تحمل لهم عدوَّهم اللدود، النهار، حتى تنزلق بعد اجمل ما قرأت في شعر التخويف، الى محاولة إرهابهم بما يدخل على قلوبهم السكينة والاطمئنان:

وعصا موسى
فأينَ الشِّعْـوَذاتُ.. الإفْكُ
بل أينَ الثَّعَابينُ.. السَّحَالي
أيْنَ فَرْعُونُ الوصاياتِ
على أدبِ الرَّوْثِ وفِـكْـرِ الاجْـتِـرارْ؟!

هل اوصى فرعون فوزي او أوصى غيره بمثل هذا الكلام الذي يقوله ليجعل منه مسؤولاً عن فكر الاجترار؟ أنا بالطبع لا أتملَّق فرعون، فقد فقد انشغاله بما يُقال عنه بعد حادثة البحر الاحمر، ولكنني أحاول الدفاع عن الشعر الجميل والشاعرية المظلومة التي حالت ثقافة السهو بينها وبين الانطلاق.

صحيح أنَّ كل ما كتبه فوزي في هذا الديوان يقطر شاعرية،وأنَّك لا تكاد تجد لديه شطرة واحدة تتكيء على التسامح، ولكن فوزي أشبه بالفراشة التي تُبعثر ألوانها عفواً أثناء انهماكها في مهمةٍ أخرى غير رقصة اللون التلقائية. ولو حاول فوزي أن يخرج من العفوية الى المعاناة الإبداعية، من الغضب الصاخب الى النقمة المتأمِّلة، من مهمِّة الرفض بالشعر الى مهمة الابداع بالرفض، لكان مشروعه الشعري من ابرز المشاريع الشعرية على الساحة الفلسطينية. وفي اعتقادي أن الوقت لم يُفت بعد، فالموهبة والأداة الشعرية ووعي حتمية الرفض، أيّ حتمية الإبداع متوفِّرة لدى فوزي احيانا إلى درجة الاكتمال. وحينما يقرِّر أن ينشغل بمشروعه الشعري بذات الجدية التي ينشغل فيها بمحاورة الألم، وينتقل من الصخب اللا إرادي الى الكيدية الحضارية، أي الى الحداثة، فسوف يكتب فقط مثل هذا الشعر او ما يفوقه:

لَـحْـظـةُ الـحِـقْـدِ:
فـقـيرٌ تَحْتَ سـورِ القُـدْسِ،
صبيٌّ فـي مُـخَـيَّـمْ
يَـلْـبـسُ العُـرْيَ،
شـهيدٌ مَـيِّـتُ الـثـأرِ
وَنَـذْلٌ
يَسْحَبُ الأرضَ لِـتَـجْـثـو رُكْـبَـتَـايْ

كـفِّـنـوهُ
سـوف امشـي حـافياً
لـم يعُـدْ فـي الأرضِ شـوكٌ
كـيف تدمـى قـدمـايْ

أُنْظُرُوا
ها هُـو الأفْـقُ
شـعـاعٌ.. ليْـلَـكٌ
طِـفْـلَـةٌ تضْحكُ مِـنْ دُمْـيَـتِـهـا
بُـلْـبُـلٌ يَـنْسِـجُ العُشَّ
فـراشٌ يَحْـرُثُ العِـطْـرَ
وَنَـايْ.

* * *

وقبل أن انصرف، لا بُدَّ من وقفة على «كرز الحرملك» مع فوزي وهو يعابث النساء حيناً، ويصلِّي لهنَّ أحياناً أخرى. يعابثهنَّ بشعر لا ينقصه الجمال ولكن ينقصه الوَلَه. وانا شخصياً - وهذا لا يلزم احداً - لا أعترف بوجود أية مساحة للابداع من خلال

العلاقة بالمرأة - سواء كانت أماً او أختاً أو حبيبة - في غياب الوله. وَلَه الأمومة، وَلَه الأخوة، وَلَه العشق. وما دام الوَلَه الأخير - وَلَه العشق - هو موضوع الحديث لأنَّ فوزي لم يلمس في شعره جوانب العلاقة الأخرى بالمرأة، فإنني اعترف سلفاً بأنني عاجز عن تذوُّق شعر المعابثة الغزلية مهما كان جميلاً. ليس فقط لأنَّ فيه تسطيحاً لأعمق واهم علاقة بشرية وجدانية، ولكن لأن الشاعر أيضاً يكون واقعاً تحت تأثير الافتعال والتصنُّع، لأنَّ المعابثة او الطُرفة تشترط التملُّح والبساطة معاً، وإلا أصبحت غير ممكنة. وكما أنَّها تشترط التصنُّع واعتماد البساطة لدى الشاعر، فإنَّها أيضاً تشترطهما لدى المتلقِّي. وهذه هي المعادلة التي عاش من خلالها شعراء مثل نزار قباني.

وحتى حينما يستطيع شاعر مثل فوزي البكري أن يضيف الى شعر المعابثة بُعداً فلسفياً نادراً - وليس بطريق الصدفة - فإنَّ هذا الشعر يتحوَّل الى رؤية فلسفية نادرة وليس الى شعر غزلي:

حبيبتي
تريد انٍ تكونَ
ساعةً في حائطٍ
لا فترةً مجهولةً
في زمنٍ مجهولْ

هذه اللمسة البارعة لاشكالية علاقتنا بالزمن بين الاجتماعية والوجدانية، بين التموضع التاريخي والوجود الخالص في التجربة، تتمرَّد على سياقها النَّصِّي وعلى فوزي، وتختار سياقها الخاص

لدى المتلقِّي.

لقد اعترفت مسبقاً أن شعر المعابثة قد يكون جميلاً، إذا توفَّرت له خفِّة الدم والتمكُّن من الأداة ونزعة الابتكار، ولكنَّه يظلُّ جمالاً فكِهاً يلامس سطح الإحساس بنعومة عابرة ويمضي دون أن يترك أي أثرٍ في الوجدان:

حبيبتي تقول إنَّها :
خبيثة!
يا روعةَ الدلال
عندما يكونُ ثَالثَ
الجمالِ والأنوثةْ

و:

ألستِ تعلمينَ
أنَّ منْطقَ العُشَّاقِ
أنْ لا يخضعوا
لأيّ منطقِ

و:

وأشْربُ مِنْ كأسِ خمري
فأصحو..
وأشربُ مِنْ كأسِ عينيكِ
أسْكَرْ..

كلامٌ لا ينقصه الجمال او الظرف، لكنَّه كلام ظرفاء. مجرَّد ذلك! ولن اذهب بعيداً فأقارن بين فوزي وغيره، سأقارن بين فوزي وفوزي:

تعالي إليَّ على غيرِ مَهْلٍ
وَهَلْ يَصْدقُ الوعدُ
إنْ جاءَ مَهْلا؟
لَئِنْ كانَ طَيْفُكِ في النَّفْسِ
حُلْواً
فَإنَّ حُضورَكِ في العَيْنِ
أحْلى

و:

لَكَأنِّي ألقيتُ بُذوري
في أرضٍ
لا تعشِّقُ رائحةَ الوردِ
ولا تعرفُ طعمَ الرُّمانْ

وبشكلٍ خاص:

عيناكِ اشعاعٌ يُضيءُ حقيقتي
ويقودني عَبْرَ الزَّمان المُظْلِمِ
فَتَدفَّقي أُنثى على شُطآنها
ألقيتُ مِرْسَاتي ونامتْ أَنْجُمي

هنا توجد المرأة الحقيقية. المرأة التي تشارك الرجل داخل وجودهما الواحد عمليةَ تعديل مزاج التجربة لهذا الوجود الواحد، من خلال الحبّ. وهو حب - مشروط في هذه الحالة - بالشغف الوجداني وليس بالشغف البيولوجي وحده. إنَّ

الإنسان وجود خاص ومتميِّز، وليس مجرَّد وجود. وهبوط الرجل بالمرأة او المرأة بالرجل إلى مستوى الشيئية الجميلة سواء في النص الشعري او في الإحساس الصامت للعلاقة، هو مرض شخصي او اجتماعي ناجم عن التخلُّف العاطفي والوجداني، واختلال موازين القوى في العلاقات الاجتماعية. وعلى سبيل المثال فإنَّ انعكاس المرأة الشيئي في مرآة شاعر مثل نزار قباني، على شكل جسد حامل للملابس في مشروع تعرية او زنا، هو بنفس المدى انعكاس لمرضيَّة طبقيَّة أساسها هواية الصيد والتعلُّق بالمظهر كمصدر وحيد للانشغال لدى أصحاب النشأة المدلَّلة المعرضين تلقائياً للتنرجس. وبالتساند بين الضحالة واضطراب الذوق الحضاري والميل الى التقليد في مجتمع ما، فإنَّ هذا النوع السهل والمبتذل من الشعر يصبح بالعدوى لازمة «إبداعية» لكلِّ الطبقات. وبالعدوى وحدها انتقل هذا المزاج الشعري إلى فوزي:

ونلتقي
شفتيْنِ في شفتيْنِ
تحْتَ رفيفها
تلهو وتلعبُ
في مراجيحِ الأصابعِ
حلمتانْ؟!

مهما بلغ هذا المشهد-النص البورنوغرافي من الجمال التعبيري، فإنَّه لا يصبح شعراً في الغزل، أي شعراً في المرأة. إنَّه شعر في الرجل صاحب النص الذي يريد أن يبهر المرأة برجولته. ومهما بلغ هذا الجانب البيولوجي الممتع في العلاقة بين الرجل

والمرأة من الأهمية، فإنَّ تنصيصه لغوياً لا يختلف عن تنصيصه بالكاميرا، لا علاقة لَه بالوجدان أو المرأة وبالتالي لا علاقة له بالإبداع.

* * *

اعرف أنني أطلت، ولكن هذا الديوان استفزازي الى حدٍّ بعيد. إنَّه - حتى في أسوأ حالاته - مساحة خالصة من الشعر تستفزُّكَ فيه الشاعرية الطليقة، ويستفزُّك أحياناً الإهمال الذي تتعرَّض له من جانب صاحبها. وفوزي - كما أزعم - هو أهم شعراء «الأرض المحتلة» حتى مع إهماله، ولكنَّها في حالته أهمية إبداعية لم تترجم إلى انجاز إعلامي لأنَّ فوزي ليس من أوغاد المرحلة.

الشاعر أحمد حسين

مصمص- تشرين ثانٍ ١٩٩٦

لا تستوحشوا طريق الحق لقلة السائرين فيهِ

الإمام علي

محتوى

شكر
إهداء 5
مقدمة الديوان.. بقلم الشاعر أحمد حسين 7
حكمة..... 27
محتوى 28
قناديل على سور المدينة 30
يا قُدْسُ لا تَنْتَظِري 35
زغاريد في عرس الزنابق 39
وسيبقى المسجد الأقصى 44
دعوة بالحضور إلى الميت الذي لا يموت 50
رشة بلسم على الجرح العبقري 55
منشور 61
أوثان يُقبِّلُها جميع الأنبياء 62
شرارة تحت القمة البيضاء 68
حجرٌ على مستنقع الصمت 74
أيار . رمز النضال 83
كل ضحية وأنتم بخير 86
في حلق الحاقد شوكة 92
تائهان على الطريق 95
مسافرون في الوهم 100

كابوس 102
بدون الهام 105
حلم في لحظة واعية 107
أنشودة للوطن 110

(زقزقات على كرز الحرملك) 112
إلاَّ أنني شاعر 113
مقدسية 115
مجنونة 116
عجولة 118
خبيثة 119
مسافران 121
عنواني 122
قلبان 123
رسائل بلا عنوان 124
عيد 126
تعالي.. على غير مهلٍ 128

كتابات عن فوزي البكري وديوانه قناديل على السور الحزين 132

قناديل على سور المدينة

يا أنبياء الفَقرِ والصُّمُودْ
في البلدةِ القَديمَةْ
يا اصدقَ الزُّنُودْ
في الصبرِ والنِّضالِ والعزيمَة
تحيةً لكم
تحيةَ الشريانِ للوريدْ
مِن كُلِّ عاشقٍ شهيدْ
من كُلِّ راسفٍ في القيدِ والحديدْ
يا اطهرَ النساءِ والأطفالْ
يا زينةَ الرجالْ
يا أروعَ الأمثالْ
في شرقِنا الجَّريحْ
يا شامةً وضَّاءةً في وَجنَةِ المَسيحْ

تحيةً لَكُمْ
فإنكم واسطةُ القلادةْ
بقيةُ البقيَّةْ
من فتيةِ الريادةْ

«شـدَّادُ» فـي زنـودِكُـمْ
وفـي قـلـوبِكُـمْ «عُـبَـادَةْ»
صـمـودُكـم هـو الحـقـيـقـةُ الـوحـيـدةُ
الـتـي..
تجـيءُ - بـعـدَ اللّٰهِ - فـي الجـلالَـة

لا تـطـلـبـوا الـغِـيـاثَ
مـن فـخـامـةِ الـرئـيـس
او مـن صـاحـبِ «الـضَّـلالَـةْ»
سـاسـتُـهـم.. قـادتُـهـم.. مـلـوكُـهـم.. حُـثَـالَـةْ
سُـلالَـةٌ مـن الـطُـغَـاةِ خَـلَّـفَـت سُـلالَـةْ

فـأنْـتُـمُ الـتَّـاريـخُ والإنـسـانْ
وانْـتُـمُ الـزَّمـانُ والمـكـانْ
انْـتُـمُ الأصـالَـةْ..

وانـتُـمُ المـفـتـاحُ والمـتـراسْ
وانـتُـمُ المـدادُ والـقـرطـاسْ
انـتُـمُ الـرسـالَـةْ..

لأنَّـكُـم..
رفَـضـتُـمُ المَـسـيـرَ فـي جـنـازةِ الـكـرامـةْ
لأنَّـكُـم..

على رؤوسِكُم حملتُمُ الأقصى
وفي رموشِكُم وضعتُم القِيَامَةْ
لأنَّكُم.. عشقتُمُ السَّلام
لأنَّكُم..
زرعتُمُ الزَّيتُونَ في أجنحةِ الحَمامْ
تعرَّضت صدورُكُم لمدفعِ الحاخامْ

يا أَنبياءَ الفَقرِ والصمودْ
في قُدسِنا القَديمَة..

لو تعلمونَ..
أنَّ قطعةً منَ الزُّجَاجْ
مكسورةً..
على بلاطةٍ في صَحنِ صخرةِ المعراجْ
هِيَ الوطنْ

لو تعلمونَ..
أنَّ عُشَّ عَندليب فوقَ مِئْذَنةْ
تهالكتْ فِراخُهُ من ذبحةِ الصَّفيرْ
في ليلِ زَمهريرْ
هُوَ الوطنْ

لو تعلمونَ..

أنَّ بَحَّةَ الناقوسْ
وآهةَ الأذان
في بلدةٍ مقطوعةِ الآذانْ
هُمَا الوطنْ

لو تعلمونَ..
أنَّ شَمعَةً باكيةً سقيمَةْ
تُضِيئُها راهِبةٌ
في الجمعةِ اليتيمَةْ
هِيَ الوطن

لو تعلمونَ..
أنَّ سَروَةً
مقهورةَ الجُذورِ والجُذوعِ والقِمَمْ
شاهِدَةً على تراجُعِ التَّاريخِ في الحَرَمْ
هِيَ الوطنْ

لو تعلمونَ..
أنَّ «ضُمَّة» من النعناعْ
تُداسُ في بوَّابةِ العمود، لا تُباعْ
هِيَ الوطنْ

لو تعلمونَ..

أنّ طفلةً جائعةً في عَقبةِ السَّرايا
تُلَمِّعُ المرايا
لِزَفّةِ الشبابِ والصبايا
هِيَ الوطنْ

لو تعلمون أن لقمةً مغموسةً
بزعترٍ وزيتْ
وبسطٍ غيرةً
في سوقِ خانِ الزيتْ
هي الوطنْ

لو تعلمونَ..
أنّ عاشقاً إنسانْ
مُطَهَّرَ الفُؤَادِ
مُرهَفَ الوجدَانْ
هُوَ الوطنْ

لو تعلمونَ.. أنَّكُم
يا أنبياءَ الفَقرِ والصمودْ
في البلدةِ القديمَةْ
انتُمُ الوطنْ

لو تعلمونْ..

فإنَّكم ستبعثونْ
ألفَ ألفَ قُبلَةٍ وزَنبقَةْ
لِمَن يَجُوعْ
ويرفضُ الركوعْ

وحبلةً ومشنقةْ
لِمَن يَهونُ..
أو يخونُ..
أو يبيعْ..

يا قُدْسُ لا تَنْتَظِرِي

عُقِد مؤتمرٌ إسلامي في الرَّباط في أوائل الثمانينات، وكان شعار ذلك المؤتمر «ابشري يا قُدس»، فكانت هذه القصيدة تعليقاً على المؤتمر والشعار.

يا قُدْسُ لا تَنْتَظِري
يَا قُدْسُ لا تسْتبْشِري
دوسي على المُؤْتَمِرينَ
دوسي على المُؤْتَمِرِ

بُولي على تِيْجانِهِمْ
بولي على عروشِهِمْ
ومسِّحي بالخِنْجَرِ

لو كُنْتِ إسلاميةً
لَفُزْتِ بالصِّدِّيق أو بِعُمَرِ

أو كُنْتِ سوفييتيةً
فَأيُّ جيشٍ احْمَرِ

أو كُنْتِ رومانيةً
لَمْ تَعْدمي مِنْ قَيْصَرِ

أو كُنْتِ إغريقيةً
عَثَرْتِ بِالاسْكَنْدرِ

لكنَّ حَسْرَةَ التَّاريخ
أنَّ دُرَّة التاريخِ يَعْرُبيَّةٌ
يَا قُدْسُ
يا مَقْروحةَ اللَّها
تَتَسَّري

يا قُدْسُ
ما الذي تَصْنَعُهُ الرَّباطُ
والرِّباطُ لَمْ يَعُدْ مُتَّصلاً بِالمِئْزَرِ

تذرَّعي بالكلْبِ
يا مَكْسورةَ العظامِ
لا تذرَّعي بمَلِكٍ
يَغُطُّ خِصْيَتَيْهِ في مُسْتَنْقعٍ
ويرفعُ الأذانَ فوقَ مِنْبَرِ

يا صَخْرةَ الإسلام
يا حبيبة ـ الإسلام
ما الذي يَصْنَعُهُ الإسلام؟
هذا صلاحُ الدِّين
في خمَّارةٍ غَرْبيةٍ
نادى عليه البائِعُونَ بِالكوفيةِ البيْضاءِ:
«يا مَنْ يَشْتَري؟»

هَلْ تَعْلَمِينَ يا حبيبةَ الإسلام
أَنَّهُمْ قَدْ راهنوا
على بكارةِ الإسلام في «كَلَخانةٍ»
واغرقوا
في خَمْرةٍ وَمَيْسِرِ

والوطنُ المَصْلوبُ
في جُلْجُلَةِ البترولِ
سِلْعةٌ
ما بينَ مَتْجَرٍ وَمتْجَرِ

يا قُدْسُ
ما الذي يَصْنَعُهُ الإسلام
والزَّعامةُ الجرباءُ
تَعْبدُ الأصنام في السريرْ

وتصْنعُ الأمجاد في السريرْ
وتهْزمُ الجيوشَ في السريرْ
ويطْلبون مِنْكِ
أنْ تُهلِّلي لِزَحْفِهِمْ
وَأنْ تُكبِّري!!

يَا قُدْسُ
لا تَسْتَبْشِري
إلا
بَلَسْعِ النَّارِ والحديدِ
والسَّواعِدِ السَّمْراءِ
والحقيقةِ الحمْراءِ
في مُعَسْكَرِ

زغاريد في عرس الزنابق

إلى القلوب التي كانت خاشعة في الحرم الإبراهيمي حتى الموت.. إلى الأرواح التي رقصت في عُرسهم لترافقهم إلى السماء.. والى روح الشيخ الذي رضع حليب الجهاد في اللاذقية وروَّى تراب «يعبد» بدمائه الطاهرة.

مَطَرٌ.. ولا مطرٌ.. وأمْحَلَتِ السَّماءْ
والأرضُ حَمْراءُ الخُصوبةِ
وابلٌ يروي عظامَ الأنبياءْ
قَبِّلْ شهيدَكَ
قبْلَ انْ يَغْتَالَهُ النِّسيانُ
في الزَّمَنِ العراءْ
قَبِّلْ شَهيدَكَ
شامةً شَمَّاءَ في خدِّ البطولةْ
كَفِّنْهُ بالجَفْنَيْنِ
وازْرَعْ في أَصابعِهِ خميلَةْ
فغداً سَيَنْمو الشوكُ
في أرضِ التماثيلِ الذليلةْ
وغداً تضيعُ شفاهُكَ الخرساءُ

في ليلِ الرجالِ بِلا رُجولةْ

* * *

المَسْجِدُ المَحْزونُ.. يا شوقي
تبرَّأَ من فُلولِ بَني أُميَّةْ
ودِمشْقُ ماخورٌ
يَنامُ على تُخومِ الجَّاهِليةْ
ومَقَامُ جَدِّ الأنبياءِ
مُضَرَّجٌ بدمائِهِ
والمسجدُ الأقصى شهيدْ
ويزيدُ يشربُ خمْرةً
مَعْصورةً في قَلْبِ هرون الرَّشيدْ!!

* * *

بَغْدادُ يا أُمَّ القُرى
بَغْدادُ يا جَرْح النَّخيلْ
لا تَكْتُمي
شكوى النزيفِ إلى النَّزيفِ
ولا القتيلِ إلى القتيلْ
فالعامريَّةُ نَجْمةٌ مَذْبوحةٌ
في حِضْنِ أطفالِ الخليلْ

* * *

الجوعُ وعدُكِ
والحصادُ المرُّ وعدي
والصَّومُ عِنْدَكِ
والصَّلاةُ قُبَيْلَ فَجْرِ الفجرِ.. عندي
إيمانُكِ المَغْدورُ إيماني
وذاتُ الوَجْدِ وَجْدي

إنَّ الحياةَ
هِيَ الحياةُ بغَيرِ قَيدِ
هِيَ رَعْشَةُ الشُّهداءِ
ما بينَ التحدِّي والتحدِّي
* * *
يا أيُّها الحَرَمُ الشريفُ
وكَم أضاعَكَ من شريفْ
أَذَّنْتَ في صيفِ الزَّمانِ
فكيفَ أسكتَكَ الخريفْ؟!

حَرِّكْ عِظَامَ الغارِ تحْتَكَ
وادْنُ مِنْ قَبْرِ الحنيفةِ والحنيفْ
رُحْماكَ، إبراهيمُ،
يا جَدَّ التُّقاةِ المُرْسلينْ
هَلْ كُنْتَ إلا مُسْلِماً للَّهِ
سجَّاداً ومَوْسومَ الجبينْ

ما كُنْتَ سفَّاحَ الدِّماءِ
فَهَلْ نَظَرْتَ إلى ضريحِكَ
كيفَ يَغْرَقُ في دِمَاءِ المُسْلِمينْ؟!

* * *

خَمْسُونَ طاهرةً من الارواحِ
يَحْصُدُها الرصاصُ
وما ارْتَوَى ظمأُ البنادقْ
رضوانُ.. فافْتَحْ بابَ عَدْنِكَ
قَد أَتَتْكَ اليومَ
كَوْكَبَةٌ مِنَ البيضِ الزَّنابِقْ
بُثَّ الزرابي حَوْلَ كَوْثَرِها
وصُفَّ على حواشيهِ النَّمارِقْ
وامْدُدْ لَهَمْ مِنْ كُلِّ ناعمةٍ
وسادةْ
واهْتِفْ بِرَبِّ العَرْشِ
هلْ بَعْدَ الشَّهادةِ في سبيلكَ
مِنْ شهادةْ؟!

* * *

رمضانُ شَهْرٌ للخشوعِ
وليس شهراً للدموعْ
لا تَبْكِ عَينُ الثاكِلاتِ
كفى بُكاءُ القلبِ
ما بَيْنَ الضُّلوعْ

* * *

رمضانُ قُــرْآنٌ وَرَيْحَانٌ ورُوحْ
فَاسْجد لربِّــكَ
واتْــلُ في مِحْــرَابِــهِ
سُـوَرَ الجروحْ

* * *

اللّٰهِ يا قسَّامُ
اللّٰه يا قسَّامُ
قَد عرَضوا دمائي للتَّفاوضِ
في حقيبةْ

يا شيخُ
هَل في حُرْشِ يَعْبَدَ
صَلْيةٌ
تَجْلُو سماءَ الكونِ
مِنْ صدأِ العُروبةْ؟!

2 آذار 1994

وسيبقى المسجد الأقصى

كتبت هذه القصيدة بانفعال شديد عصر يوم ١١/٤/ ١٩٨٢، بعد أن قام «ألن غوتمان» صباح ذلك اليوم بإطلاق الرصاص على المصلين المسلمين في قبة الصخرة وساحات الحرم القدسيّ الشريف، وخرجت القدسُ القديمة عن بكرة أبيها في سيل جارف من البشر - مسلمين ومسيحيين - يتدفق نحو الحرم لحمايته.. فاستشهد يومها مَنْ استشهد.. وجُرِحَ مَنْ جرح.. وكانت هذه الصرخة..

حيَّاكَ ربُّكَ
أيُّها الشعبُ المدجَّجُ بالحجارةِ
كيفَ تقهرُ في عنادِكَ
كلَّ جبارٍ عنيد

أنتَ الذي رضعَ النضالَ
من الأُلى صنعوا النضالَ
فهل غريبٌ
أن تكون السيفَ والرمحَ الجديد؟

رباهُ
إنِّي إنْ كفرتُ
فقدْ كفرْتُ بمَنْ يُظَنُّ
بأنهم في الناسِ أيقاظٌ
وهم - يا عالم الأسرارِ -
أيقاظٌ رقودْ
الراكعينَ لربِّهم - فيما نرى -
لكنهم في معبد الأهواءِ
أنذالٌ سجودْ

ويُقالُ أسيادٌ
يقودونَ الشعوبَ
ولوْ نظرتَ وجدتهم
يا حسرة الأقصى.. عبيد

اللهُ اكبرُ أيها الأقصى
لكلِّ مساجدِ الدنيا الكثيرةِ
كلَّ عام
يومُ عيدٍ واحدٌ
أما لأهلك عند بابكَ
كُلَّ يوم
ألفُ عيدْ

تلك الجماهيرُ التي زحفتْ
إلى البستانِ يقطفُها الرصاصُ
كأنَّها جَنْيُ الورود

اللّٰه اكبرُ
لو رأيتَ اليومَ
رشّاشَ الطغاةِ
أمام أقدامِ الوليدةِ والوليدْ

وشبابَ عيسى
يتبعونَ شبابَ احمدَ
يهتفونَ بأنه آن الآوانُ
الى مراجعة العهود

اللّٰه اكبرُ
لو رأيتَ زنودَهم
سمراءَ.. وهي تصيحُ بالشريانِ
فلتبذلْ دماءَك للوريد

في كلِّ صدرٍ مُشرعِ الأضلاعِ
يسخرُ بالبنادقِ
وهي تقصفُ كالرعودْ
وشوارعَ القدسِ العتيقةِ

وهي انهارٌ
تفيضُ بأهلها
من كُلِّ فجٍّ
من قريبٍ.. من بعيد

وحناجراً
أوتارُها عزفتْ
على قيثارةِ الدنيا
ستبقى ايها الأقصى
وتخفقُ فوقَ قُبَّتِكَ البنودْ

رمزاً لإسلامِ السماحةِ
والعُرُوبةِ
والعدالةِ
والخلودْ
* * *

يا صخرة المعراجِ
شيَّدَكِ الوليدُ
وصار يحمي عرضَكِ المهتوكَ
في القدس القديمةِ
يا حبيبةَ الفقراءِ
أطفالُ الوليدْ

في كُلِّ محرابٍ
جريح نازفٌ
وعلى زوايا كل مصطبةٍ.. شهيدْ

وزجاجُكِ المجروح في شُرُفاتِهِ
لا بُدَّ يوماً
أن يعودَ إلى التوهُّجِ من جديد

ومآذنُ الحُزْنِ النزيفةُ
سوف ينطلِقُ الأذانُ
مُجَلْجِلاً منها
يهزُّ مسامعَ الدنيا
ووجدانَ الوجود

فإلى جنانِ الخُلْدِ
مَنْ سقطوا
إلى أعلى
وروَّوْا بالدماءِ الزاكياتِ
ترابَ أقصانا المجيد

والى جهنَّمَ
كلُّ مَن قالوا «نعمْ»
للتسوياتِ العارِ
ما دامَ الصغارُ الأبرياءُ
لدى مخيماتِ الجوعِ
تهتفُ : «لا» نريد.

دعوة بالحضور إلى الميت الذي لا يموت

لمناسبة الذكرى السابعة عشرة لاستشهاد الأديب والفنَّان والمناضل غسَّان كنفاني.

ما جِئْتُ يا غسَّانُ راثياً
فَلَسْتُ مِمَّنْ يُتْقنونَ واجبَ الرَّثاءْ

ولسْتَ أَنْتَ مِمَّنْ يحفلونَ
بالقصيدةِ الطويلةِ العَصْماءْ

بَلْ جِئْتُ يا غسَّانْ
أدعوكَ أن تجيءْ
لكي ترى
أو لا ترى
ما تَفْعَلُ الأيام بالمناضلِ البريءْ
في زَمَن
يبتلعُ الأَطْفالَ مِنْ أحلامهم
فَيَتْرُكونَ

غُصَّةً في حلْقِهِ
وعبوةً ناسفةً في أوَّلِ المريءْ

في زَمَنٍ
تفرُّ من جنونِهِ الساعاتُ والدَّقائقْ
وعقْرباهُ يَسْكُبانِ السُّمَّ
في حَوْصَلَةِ الحَقائقْ

* * *

غَسَّانُ..
لَو بُعِثْتَ حَيَّاً يا تُرى
فما الذي تقولُ
لورأيتَ التوتَ
تَسْتَحِي أوراقه فَتَخْتَفي
من عورةِ التنازلاتْ؟!

وما الذي تقولُ
لو رأيتَ كيفَ أَصْبَحَتْ بَوصلةُ اليسارِ
تفقِدُ الجِهاتْ؟!

ولو رأيتَ القدسَ
مَسْجداً بلا أذانْ
ومَرْيَماً بلا يسوعْ
وراهباً تغلبُهُ الدموعْ

فيحرقُ البخورَ في كَفِّيْهِ
ثُمَّ يَكْسِرُ الصُّلبانْ؟!

وما الذي تقولُ
لو ترى بيروتَ
طِفْلَةً محروقةَ الجبينِ والعَينيْنِ والجديلةْ
تضيعُ في ملاجئِ الأيتامِ
بينَ مُشْفِقٍ
يَحْرِقُها
ومُنْقِذٍ يقصفها مدافعاً ثقيلةْ؟!

وما الذي تقولُ
لو ترى تهافتَ العروبةْ
على خطيبةٍ
ترفضُهم جميعَهُمْ
وتمزجُ التُّرابَ في حلوقِهِمْ
بخاتمِ الخطوبةْ؟!

ولو رأيتَ دارةً بيضاءَ
لا تدورْ
وأمة تغيبُ في مواسمِ الحضورْ
وكيفَ أننا
في رأسِ «ناجي»* نَزْرَعُ الرَّصاصْ

ونزرعُ الأوسمةَ البلهاءَ
في شواخِصٍ
توقّفت صدورُها عن الصُّدورْ؟!**

ولو رأيتَ
كيفَ في باريس أشفقتْ على مصيرِنا
أَرْمَلةٌ عجوزْ***
فأصبحت قضيَّةً
يجوز في احرارِها
ما ليسَ في أيتامها يجوزْ؟!

غسَّانُ..
لمَّا مِتَّ،
كيفَ لَم يَمُتْ مِنْ غَيْظِهِ تَمُّوزْ؟!
* * *
غسَّانُ
يا لؤلؤةً تغرَّبتْ عَنِ المحارْ
باللّهِ، هَل نظَّرْتَ ما نظَّرْتَ
في سبيلِ فَرْحَةٍ
يحملها الكبارُ للصغارِ
أم يحملها الصغار للكبارْ؟!

بالعهدِ.. هَلْ كَتَبْتَ ما كَتَبْتَ

في سبيلِ جَنَّةٍ
تصنعها الأزهارُ للسلاح
أم يصنعها السلاحُ للأَزهارْ؟!

بالرَّفْضِ.. هَلْ سَقَطْتَ
في سبيلِ دولةٍ
حدودُها الصَّحْراءُ
أم حدودها البحارْ؟!

غسَّانُ
لمَّا مِتَّ،
كيف لم يمُتْ مِنْ حُزْنِهِ النَّهارْ؟!

* * *

لا شيء يا غَسَّانُ
يَسْتَحِقُّ أن تراهْ
لا شيءَ يستحقُ أن تراهُ
ما عدا الأطفالَ
يَلْعبونَ في شوارعِ النضالِ
يَكْبرونَ في شوارعِ النِّضالْ
ويَصْنعونَ واقعاً
ضَرْباً مِنَ المحالْ
ويَحْرُثونَ بالأصابعِ الجريحةْ

حاكورةَ المَوَّالْ

فها هُـنا.. يا سيِّدَ القَـلَمْ
تذوبُ في عِناقِـها الرياحُ
عندما تُقبِّـلُ العَـلَمْ
وها هُـنا..
يا فارسَ الرِّيشاتِ والألوانْ
يَرْتَسِـمُ الوطنْ
خريْطَةً مِنَ اللهيبِ والدُّخانْ

وها هُـنا..
سَيَـنْـتَهي الطَّاغوتُ
حَيْـثُ يَـبْدأُ
الإنـــــســـــانْ!

تموز 1989

* الشهيد الفنان ناجي العلي.
** الجائزة التي سُمِّيت «جائزة فلسطين» وقد منحتها جهةٌ لا تملكها لجهةٍ لا تستحقها، تماماً كما فعل بلفور!!
*** مدام منديس فرانس، أرملة رئيس فرنسا الاسبق التي كانت ذات يوم على اتصال بين رابين والفلسطينيين في محاولة للوساطة.

رشة بلسم على الجرح العبقري

(أمنية بالشفاء الى الاسم الحركي لفلسطين.. ناجي العلي..)
كُتِبَت هذه القصيدة عندما كان الفنان الشهيد لا يزال في غيبوبته التي امتدَّت حوالي أربعين يوماً، بين اليوم الذي أُصيب فيه برصاصة الغدر واليوم الذي أسلم فيه الروح في خريف ١٩٨٧

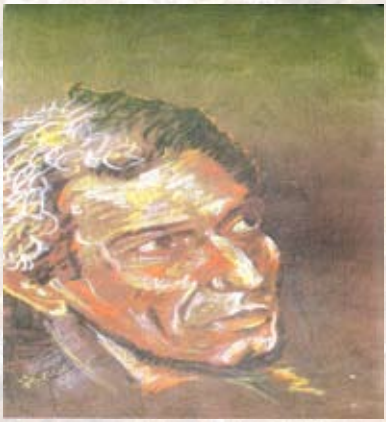

للحْظَةٍ
تَوَقَّفَتْ عنْ وَحْيها السَّمَاءْ
وَخُضِّبَتْ مَلامِحُ المَسيحِ بِالدِّمَاءْ
فَأَطْلَقَتْ شَرَاذِمُ اليَمِينْ
رصاصةَ الوداعْ..
لكنَّها في وَجْهِهِ الحزينْ
تحوَّلتْ لِقُبْلَةٍ
تُعمِّقُ اللقاءْ

فَلْيَفْرَحِ الأطْفالُ في الخيامْ
وَلْيَرْقُصِ الأطْفالُ في الخيامْ

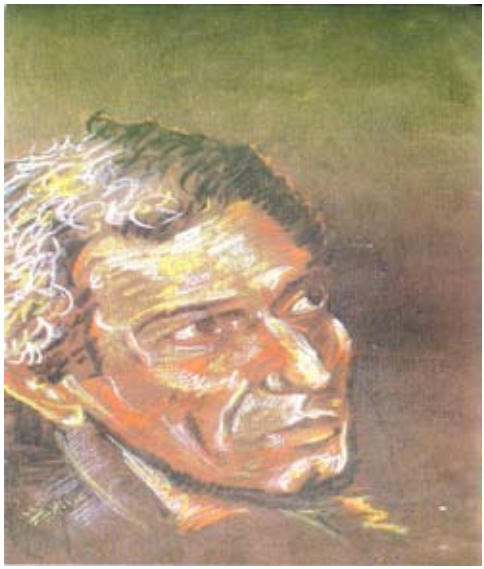

صديقهُمْ
ضميرُهُمْ
حَنْظَلَةٌ
تقلَّدَ الوسامْ
رصاصةً جبانةً حَمْقاءْ
لكنَّها شهادةٌ
بأنَّ ريشةَ الفنَّانِ
بينَ ابْجَديةِ النِّضالِ
ألفٌ.. و.. ياءْ

يا ناجيَ الجَمالْ
الكادِحونَ يسْألونَ كَيْفَ حَنْظَلَةْ
ويطْلبون مِنْهُ انْ يَدُسَّ
في مرارةِ اليمين قُنْبلةْ

والجَّائعونَ في مخيَّماتِ الكَدْحِ واجمُونْ
يُصدِّقون تارةً
وتارةً يُكذِّبونْ
هَلْ يَبْلغُ الرَّصاصُ قِمةَ الفنونْ؟!
وهل تُصابُ ثورةٌ بكل ذلك الجنونْ؟!

هل تُشْنَقُ الفراشةُ البيضاءُ
في أشعةِ الصَّباحْ

هَلْ تخْنَقُ الطيورُ في اوكارِها
وتخرجُ النجومُ عن مدارِها
لأنَّ طاقماً مُشَوَّهاً من الثُّوارِ
يُتْقِنُ النِّبَاحْ؟!

شُلَّتْ يَدَاك يا يمينْ
شُلَّتْ يداكَ
ايُّها المَغْروسُ في الوجْدانِ كالسِّكينْ
شُلَّتْ يَدَاكْ
وَفُقِئَتْ بِريشةِ النَّقاءِ مُقْلتاكْ

بالنَّبْضِ خافقاً فؤادُهُ
ما زالْ
حنْظلةٌ غداً
يقومُ مِنْ سَريرِهِ
ليصفعَ الوجوهَ الكالحاتِ بالنِّعالْ
يصوغُ مِنْ ريشتِهِ الشُّعاعْ
ليحرقَ القناعْ
عَنْ سِحْنَةِ اليمينْ
وينصبَ الكمينْ
لِمَنْ تحوَّلوا
عصابةً مَأْجورةً منَ الرعاعْ

يا ناجيَ النضالْ
سَلِمْتَ
يا حقيقةً أغْرَبَ مِنْ خَيَالْ
سَلِمْتَ
يا أُنشودةً
مَنْقوشةً في دَفْترِ الأطفالْ
يا صَرْخةً
مَذْبوحةً على حناجرِ الرجالْ

يا عاشقاً
حنينهُ عطاءْ
اليكَ باقةً مِنَ الوفاءْ
إليكَ قُبْلَةً
مَغْموسةً بِنَسْمةِ الرجاءْ
عليكَ الفُ وابلٍ
مِنَ الشِّفاءْ

يا ناجيَ النضالِ.. قُمْ
فالأرضُ مَنْ يحتاجُ
عَبْقريةَ الفنَّانِ
ليستِ السماءْ

يا ناجيَ النضالِ.. قُمْ

وعلِّم التاريخَ
كيفَ تنْطقُ اليراعةُ الخرْساءْ
وعلِّم الأجْيالَ
كيفَ - بالمِدَادِ -
يُصنعُ الفِداءْ

١ آب ١٩٨٧

منشور

رَغْمَ الخَسَارة والمَرَارةِ والمَضَاضَةْ
رغم الجراحات النزيفة والكراماتِ المُهاضةْ
سَيظلُّ أطْفالُ المُخيَّم يلعبونْ
كُرةُ الحجارِ هي الرياضَةْ
و«يُصوِّبون» ويهتفونْ:
«لا صوتَ يَعْلو فَوقَ صوتِ الانتفاضةْ!»

أوثان يُقبِّلُها جميع الأنبياء

جَلَسُوا على الإرهاب عَرْشَاً زائلاً
ووقفْتَ في قِمَم النِّضالِ الفذِّ.. اجْلَسْ
وَتَمَتْرَسُوا خَلْفَ النَّفيسِ مِن السِّلاحِ
وكُنْتَ بيْنَ أصابعِ الأطْفالِ
أغلى مِنْ طفولتِهم وانْفَسْ
وإذا استفزَّكَ في الرَّصاصِ شراسةٌ
دوَّيتَ فَوْقَ رؤوسِهِمْ..
أعْتَى وأشْرَسْ
بُوْركْتَ يا وثني العَظيمَ
القاهِرَ القَهَّارْ
بُوْركْتَ
أيُّهَا الحجرُ المُقدَّسْ

* * *

نَعِموا بِوَاثِرةِ الصُّمودِ
ولمْ تَزَلْ
بالخافِقَاتِ السُّودِ أَنْعَمْ
وَتَعَلَّمُوا فَنَّ الحِصَارِ
ولم يكونوا مِنْكَ بالاعْصَارِ أعْلَمْ
دَهمُوكَ بالجوعِ الرَّخيصِ

وقد رَضَعْتَ مِنَ النِّضالِ
عَزِيْمَةً أدْهَى وأدْهَمْ

بُوركْتَ يا وَطَناً
تكَوَّنَ تحْتَ نارٍ.. بينَ جَمْرٍ.. فَوْقَ دَمْ!
بُوركْتَ يا وطناً ينِزُّ.. فَيُسْتَفَزُّ
وَيُستَذَلُّ.. فَيَسْتَعِزُّ
ويُسْتَضامُ.. فلا يُضيَّمْ
بوركْتَ يا وطني المُخَيَّمْ
* * *
فوقَ الصَهْوَةِ
ما زالَ الفارسُ يَقْتَحِمُ المِضْمارْ
وَحِيْداً.. وَحَزيناً.. وَعَظِيماً
وَمَلائِكةُ الرَّفْضِ
تُرَتِّلُ تحْتَ جدائِلِهِ
اصحاحَ الثورةِ
يا هذا الفارسُ
لا تترجَّلْ
لَكَ أنْتَ الغَدُ
لكَ أنتَ المَجْدْ
وعلى الأرضِ الإعصار

ونُجومُ الليلِ على كتفيكَ نياشينْ

والقمرُ الثوريُّ
يُكَحِّلُ ليلَ الأحرار
بضوءٍ
يتسرَّبُ مِن عينِ فلسطينْ

يا هذا الفارسُ
إنَّكَ إنْ تترجَّلْ
أبقيْتَ مَجَرَّاتِ الأملِ بدون مَدارْ
وقَفَ العالمُ مَذْهولاً
يَسْتَلْهِمُ مِنْ بُرْكانِكَ
كَيْفَ تَؤَجَّجُ في ليلِ الطَّاغوتِ النارْ

وقف العالمُ تلميذاً
يتعلَّمُ مِنْ زِلْزالِكَ
كَيفَ يُصانُ الإنسانُ
وكيفَ يُصاغُ الثوَّارْ

أَلِغَيْرِكَ يَتوهَّجُ قُرْصُ الشَّمْسْ
يَتَلوَّنُ قوسُ القُزَح
ويَشْدو عَصْفورُ الرَّفْضْ؟!
يا عِقْداً في عُنُقِ الارضْ!!
أَلِغَيْرِكَ يَتَدَوَّر إكْليلُ الغارْ؟!

كُتِبَ التاريخُ جميعاً
بالحِبْرِ عَلَى الأوْراقِ
فَهَلْ قرؤُوا تاريخاً
مَكْتوباً بِدِماءٍ
في صفحاتِ شَرارْ؟!

ما أَبْعَدَ ما بيْنَ نزيفِ النَّفْطِ
وبَيْنَ نَزيفِ الأطْفالِ
وما أَقْرَبَ ما بَيْنَ خريفِ النَّفْطِ
وَبَيْنَ ربيعِ الأحرار!!

إنَّ الحَلْوى في أيْدي أطفال العالمِ
قُدُسُ الأقْداسِ
ولَكِنَّ الحَلْوى
في أَيْدي أطفالِ فلسطينٍ
حَجَرُ الأحْجارْ!!

يا هذا الفارسُ
لا تأْبَهْ بِصَراصيرِ القِمِّةِ
إنَّ سَنَابِكَ خَيْلِكَ
أعلى.. أَعلى.. أعلى..
مِنْ كُلِّ تماثيلِ الشَّمْعِ
تماثيلِ القَمْعِ

وَعَاصِمَةُ الدَّجَّالينَ الكُبرى
سَتُواري سَوأَتَها تَحْتَ رِكابِكْ

وَمُلوكُ الصَّمْتِ
هُروباً مِنْ مِهْمازِكَ
صِرْصارٌ يَزْحمُهُ صِرصارْ!!

يَتَعَثَّرُ نَجْمُكَ في الفَلَكِ العربيِّ القاتِمِ
لا عجَبٌ
إنَّ كُسُوفَ الشمْس
مُقَدِّمةٌ لِخُسُوفِ الأَقمار!

إشْرَبْ كَأسَ دموعِكَ
وَالْسَعْ بِمُلُوحَتِها الأحلامَ
فَتَنْهَضَ نشْوَى
تَتَسَلَّقُ خَيْطَ الفَجْرِ
وتَقْطِفُ مِنْ أرواحِ الشُّهداءِ
بَواكيرَ الزَّنْبَق
وتُعبِّئُ غَيمَ الفرْحَةِ
بالإمطارْ

يا هذا الفارِسُ
لا تتعَثَّرْ

سَيُضيءُ فتيلُ الحُزْنِ
قناديلَ الشُّهداءِ
على بابِ الخَيْمةِ
لا رَيْبَ
فَإنَّ السُّفنَ العائدةَ الليلةَ
لا تستهدي الميناءَ
بِغَيْرِ مَنَارْ!!

شرارة تحت القمة البيضاء

كُتِبَت هذه القصيدة في آذار ١٩٨٧ وأُلقيَتْ في حفل ازاحة الستار عن نصب سُلطان باشا الأطرش في ساحة مجدل شمس، عاصمة الجولان السوري المحتل، في ٤ نيسان ١٩٨٧.

أَرَأَيْتَ عِمْلاقاً وقَدْ بَلَغَ الذُّرى
أُنْظُرْ الى الجولان مَبْهوراً تَرَى
هذا تُرَابٌ مُنْجبٌ في غَرْسِهِ
عِطْرَاً وفي الإنْسَان يُنْجِبُ عَبْقَرَا
أَرْضٌ طَبيعتُها عَطاءٌ دائمٌ
ورجالُها في الرَّوْعِ آسادُ الشَّرى
لانَتْ لَهُمْ كالماءِ فَوْقَ عُبَابِهِ
صَرْحٌ مِنَ الأبْطالِ يُشْرِعُ مُبْحِرا
فإذا بِهِمْ يَومَ النِّدا وإذا بِها
خَشِنُوا رَبَابِنَةً ورقَّتْ مَعْبَرَا

* * *

جَلَسَتْ على عَرْشِ الربيعِ أميرةً
تَغْلي بهاءً لا أَجلَّ وأَبهَرا
نَثَرَتْ على وَجْهِ البُحَيرةِ فِضَّةً
وعلى جَدائِلها عقيقاً أَخْضَرا
واسْتَحْضَرَتْ شُهدَاءَها فتزيَّنتْ
بخلودِ ذِكْراهُمْ شقيقاً أَحمرا
جنَّاتُ عَدْنٍ إنْ وَطِئْتَ أَدِيمَهَا
أَلْفَيْتَها بَيْنَ الخَمَائِل حُضَّرَا
فإذا تفيَّأتَ الظِّلالَ فَرْوضَةً
وإذا رَشَفْتَ مِنَ الرحيقِ فكوْثرا
لو ذاقَ آدمُ مِنْ جَنَا تُفَّاحِهَا
تَرَكَ الفَرَاديسَ العُلا مُتَخَيِّرا

* * *

يَا هَضْبَةَ الأحْرَارِ تيهي عِزَّةً
وتباركي أرْضاً وطيبي مَعْشَرا
ضاهَيْتِ في المِضمارِ كُلَّ أصيلةٍ
وَكَبَا سِواكِ تَرَدُّداً وَتَعَثُّرا
مُنِحَتْ بساتينُ الوجودِ نضارةً
وَمُنِحْتِ بُسْتانَ النَّضارةِ مُثْمِرا

* * *

جولانُ مَدْرَسَةُ النِّضالِ ورمْزُهُ
لِلّهِ مَجْدُكَ يا جليلُ، ألا تَرى؟!
أَنْتَ الذي نَفَحَ الجبالَ صلابةً
مَا بَالُ صَخْرِكَ ليِّناً مُتكسِّرا
أينَ الميامينُ الَّذينَ تَوَاضَعَتْ
مِنْ تَحْتِهِمْ قِمَمُ العُروبة مِنْبرا
هَلا لَمَحْتَ على التلالِ سَريَّةً
لا كانتِ العينانِ إنْ لَمْ تَنْظُرَا
حَفِظُوا عُرُوبَتَهُمْ وما هانوا بها
حتى تفيضَ الرُّوحُ أو تَتَحرَّرا

* * *

كَان الدُّروزُ على المدى أُمْثولةً
طَوَتِ القرونَ زكيَّةً والأعصُرا
بَقيَتْ بِهِمْ مِنْ مَيْسَلُونَ كتيبةٌ
أَعْظِمْ بِهِمْ خُلُقاً وأكْرِمْ عُنْصُرا
تَهْفو القلوبُ الى روافِدِ جُودِهِمْ
لا يَنْفرُ الضِّيفَانُ مَا طَابَ القِرَى
سيُخلِّدُ التاريخُ يومَ صمودِهِم
وَكَتَائِبُ الطُّغْيَانِ تَنْتَهِكُ القُرى

رَفَضُوا هُويَّةَ مَنْ يحلُّ ديارَهَمْ
دَنِسَاً وَيَعْبُرها دخيلاً مُنْكَرَا
وتوحَّدوا بالارض حتى أصبحوا
مَثَلاً على الأيامِ لَنْ يَتَكَرَّرا
بِالفِعْلِ لا بِالقَوْلِ أثبتَ عَزْمُهُمْ
أنَّ المبادئ لا تُبَاعُ وتُشْتَرَى
صَاموا لِغَيْرِ تَنَسُّكٍ وَعِبَادةٍ
لَكِنْ صِيَامَ العَاشِقينَ تَحَرُّرا
مَنْ صامَ عن ذلِّ صبيحةَ رفضِهِ
لا ريبَ في عصرِ الكرامةِ أفطرا
صَبَرُوا على نَار الحِصَارِ كأنَّها
نيرانُ ابراهيمَ بَرْدَاً مجمَرا
والقِمَّةُ البَيْضَاءُ تَحْتَ ثُلوجِهَا
بُرْكَانُ رَفْضٍ كَاد ان يَتَفَجَّرا
لولا فُتورٌ في مَعِينِ نِضَالِهِ
يا قاسَيُونُ فِدَاكَ شامخةُ الذُّرى
وَقَفَ الطُّغاةُ الغَاصِبُون ببَابِهِمْ
أسْطورةً هَزْلى وَهَوْلاً مُفْتَرى

غُصَّتْ بأشْوَاكِ الهَوَانِ حُلُوقُهُمْ
وتوقَّعوا ظَفَراً فَعَادوا القَهْقَرَى
يا قارئ التَّاريخ راجعْ صَفْحَةً
أرأيتَ ما فعل الغُرورُ بِهِتْلَرا؟!
هِيَ سُنَّةٌ كَتَبَ الزَّمانُ قضاءَها
لا بُدَّ للاقْدَارِ أن تَتَغَيَّرا

* * *

يَتَفَرَّطُ النَّاسُ العُهُودَ جَهَالَةً
والعهدُ في الجولانِ موثوقُ العُرى
بَذَلَتْ فَلسْطينٌ إليكِ مَوَدَّةً
فَبَذَلْتِها ودّاً وحُبّاً أَكْبَرَا
أُخْتَان لا تَتَقَطَّعان وشيجةً
مَهْما اصابَ التَّوْأمَيْنِ أوِ اعْتَرى
فَإذا تألَّم في الجنوبِ مُجَرَّحٌ
هَبَّ الشَّمالُ مُواسِياً ومُشَمِّرا
تَتَيَقَّظانِ لِكُلِّ أَرْقَطَ كَامِنٍ
والشَّرْقُ بالأحلامِ مَعْسُولُ الكَرَى
جَسَّدتُمَا مَعْنَى الإبَاءِ وَشَكْلَهُ
وَفَجَرْتُما نَبْعَ البُطُوْلَةِ مَصْدرا

وَغَدَوْتُما لِذَوِي المُروءَةِ قِبْلَةً
وَلِكُلِّ مَنْ عَشَقَ الكَرَامَةَ مَشْعرا
وَالَيكُمَا نَسَبَ الفِدَاءُ أُصُولهُ
قِمَمُ الخُلُودِ أَعَزُّ مِنْ أنْ تُقْهَرا

* * *

يَا مَجْدَلاً لِلشَّمْسِ بَلْ يَا نورَها
يَا بُؤْبُؤَ الإلهامِ في عينِ الوَرَى
دومي على أُفُقِ الليَالي نَجْمَةً
يُهْدَى بها الأحْرارُ عُشَّاقُ السُّرَى
هَذا أَمِيْرُكِ في رِحَابِكِ مَاثِلٌ
أَحْرَى بِطَائلِ غَيبةٍ أنْ يَحْضُرا
سُلْطانُ.. ما سُلطانُ إلا ثائرٌ
جَعَلَ البَنَادِقَ للتَّحَرُّرِ مِحْوَرا
وَحِجَارَةُ التِّمْثَالِ تَرْسُمُ صُوْرَةً
وَحِجَارَةُ الأَطْفَالِ تُثْبِتُ جَوْهَرَا

حجرٌ على مستنقع الصمت

كُتِبَت في نيسان ١٩٨٦ ذكرى العُدوان الأمريكي على خليج «سرت» الليبي.

سَقَطَتْ في مُنْتصفِ الليلِ الشَّمسْ
فالغَرْبُ المُتنمِّرُ ظُلُمَاتٌ
والشَّرْقُ العاجزُ نيرانْ

والوطنُ العربي
يتمرَّغُ في غيبوبتِهِ
بينَ حشيشِ النَفْطِ وأفْيونِ الغِلْمانْ

وخُصاةٌ تُعرضُ في فترينات زعامتِهِ
نُخِسَتْ في سوقِ الذُّلِ كرامتُهمْ
من طنجةَ حتى عجمانْ
سُبْحانَ الموضةِ.. سُبْحانْ!!

انصِتْ يا مَجْروحاً في كَبدِ أمانِيهْ
قبضاتُ اليأسِ تدقُّ ببابكَ

تَخْلعُ متراسَ التاريخ
وتَسْحَلُ جَوْهَرَكَ المَنْخُورَ
على شطِّ المتوسِّط.. عريانْ

أُنظُرْ..
ما هذا السمكُ الوحشيُّ
يُشوِّهُ وجهَ البَحْرِ قُروحاً
ويكسِّرُ مِرْآةَ الثورةِ في الخُلْجانْ

وذُبابُ اللهبِ الهمجيُّ
يصادر من أيدي الأطفال الحَلْوى
ويُسمِّمُ نُسْغَ الأثداءِ
وَيَزْرَعُ شَوْكاً في الأسْنانْ

وَاسْألْ «سَرْتاً»
كيفَ طرابُلُسٌ؟
هَلْ ما زالتْ تَجْدلُ للموْجِ ضَفِيرَتَهُ
او تَشْطُفُ للشَّمْسِ أشَعَّتَها

او تحكي قِصَّةَ زفَّتِها
لِلْقَمَرِ النَّعْسَانْ
سُبْحَانَ النَّشْوَةِ.. سُبحَانْ!!

أنْصِتْ يا مَجْروحاً في كَبدِ أمَانِيهْ
هل تسمعُ هذا الصمتْ..؟
صَمْتٌ سريالـيٌّ
يَعْجزُ عن تفسيرِ بلاغتِهِ
حتَّى مَن فسَّر كلَّ المتشابِهِ في القرآنْ
سُبحَان السَّكْتةِ.. سُبْحَانْ!!

لَمْ يَكْفُرْ احدٌ بالاعجاز
وما زالَ بمَكَّةَ بعضُ «صحابةْ»
يؤمنُ بنبيٍّ نسخ الاعجازَ الى عجزٍ
لُعبةُ الفاظٍ..
فلماذا ليس يُصَلَّى ويُسلَّمُ
في الحرمِ.. على ريغانْ؟!
سُبْحان الرِّدةِ.. سُبْحانْ!!

وتذّكَّرْ..
قبلَ قليلٍ كانتْ تونُسُ
تجمعُ اشلاءَ حُشاشَتِها
وتصيح.. تصيحُ.. تصيحُ
ولكن..
كان على مرمى السَّمعِ
ملايينُ رؤوس
ليس لها آذانْ

فلماذا تحلمُ بالنَّجدةِ بَعْدَ الآنْ؟!

نُبوَّتُهم.. كانتْ في الصحراءِ
وثروتُهم.. جاءتْ من صحراءَ
حضارتُهم.. عادتْ للصحراءْ
فلماذا تُنْعِشُ ظمأَ القلبِ
بهذا الأملِ المَلْعونِ
وتعرفُ..
أنَّكَ منفيٌّ في صَحْراءٍ
واسعةِ الأطراف مِنَ الخذلانْ؟!

هل خطُّ الموت هوامشُ «سَرْتٍ»
أم خطُّ الموتِ
هُوَ النَّجَسُ المتراكِمُ
في نُطْفَةِ قَحْطانْ؟

إنَّ يسوعاً ليغيِّرُ نصَّ الاصحاحِ
ويرفضُ هذي الصفعةَ
هلْ يقبلُها صاحبُ سيفٍ
مرويٍّ بدماءِ الفتحِ
ومَغْروسٍ في صدرِ الفُرْسِ
وفي ظَهْرِ الرُّومانْ؟!

خَدَّرَهُم قاتُ الأمجادِ
ب : قَد كانَ.. وَقَد كانْ
فكيفَ سيُوقظُهُمْ
سوطُ الجلادِ وعَسْفُ الطُّغْيانْ
سُبحَان الغَفْلَةِ.. سُبْحَانْ!!

لملوكِ طوائِفنا في الشَّرْقِ
حساسيةٌ ضدَّ الارهابِ
سلاميُّون - اجارَهُمُ اللّه -
ومفطومونَ على حُبِّ الخيرِ
ورفْضِ القمْعِ
بغيرِ هراواتِ البوليسِ
وزنْزاناتِ التحقيقْ

ملوكُ طوائِفنا
في الليل قِحابٌ
فإذا طلعَ الفجْرُ
اغتسلوا لصلاةِ الصُّبحِ
وخرَّ الشعبُ سُجوداً
خلف وليِّ الأمرِ
فهل اصدَقُ من هذا مثلاً:
«قَحْبَةْ.. والقلبُ رقيقْ!»

لا تَعْقِدْ أيَّ مُقارنةٍ
لا داعيَ للذِّكْرى
أعرفُ
ما كانَ كذلكَ
لا الفاروقُ ولا الصِّديق
ولكنْ اكثرُهم ايماناً
في هذا العصرِ
هوَ.. الزنديقْ

ملوكُ طوائِفِنا
بُعْبُعُهُم نازيٌّ يتأنَّقُ بالانسانيةِ
ويفرِّخُ في واشنطُنَ افعى الارهابْ

غسلوا رجليهِ بماءِ الوجهِ
وخَرُّوا في الحضرةِ
يَسْتَجْدون الاعتابْ

وطرابُلُسٌ..
شربوا في مأتمِها نَخْبَ التأديبِ
وضجَّ المحفلُ بشماتَتِهم
حتى انْكَسَرَتْ تلعنُ حاسيها الاكوابْ

ملوك طوائِفِنا

ما أبسلهم في القول حُضوراً
ما أجبنَهم في الفعلِ غيابْ

فلماذا تنعشُ ظمأَ القلبِ
بهذا الأملِ الملعونِ
وهل يطفئُ ظمأَ العطشانِ سرابْ؟!

يا أختَ الشُّهداءِ جنوبَ المتوسِّطِ
ما زالتْ بيروتٌ في الأفقِ الشرقيِّ
تلمُّ بقاياها
فيُباغِتُها في الغَسَقِ صليبٌ معقوفْ

ما زال الضِّدانِ
هُما الضدَّيْنِ
فَنَفسُ القاصِفُ والمقصوفْ

ومؤامرةُ الصَّمْتِ
هِيَ الأخرى
نُسَخٌ طبْقُ الأصلِ
نقاطاً وحروفْ

يا عاصمةَ المقهورينَ بغيظ الغَدْرِ
اقيمي للموتِ وليمةْ

لا يَشبعُ هذا الموتُ
فغذِّيهِ ضحايا
حتى يُتخمَ
فيموتَ.. الموتُ
يموتَ.. الصمتُ
فلا جدوى إلا بالموتْ

أطرابُلُسٌ أنتِ
ام الزَّرقاءُ
وكانت في طُهْرِ يمامةْ

أطرابُلُسٌ أنْتِ
أم الصوتُ الأزليُّ الهادرُ:
إنَّ الويلَ
لِمَنْ لا يحملُ في وجهِ الظُّلْمِ حُسامَهْ

قولي لِخُصاةِ العربِ
بأنَّ اللعنةَ آتيةٌ
والمأساةَ فصولْ

وإذا كانَ الثائرُ إرهابيّاً مجنوناً
فَلْتَسْقُطْ فلسفةُ العقْلِ
وَيَسْقُطْ عقلاءُ البترولْ

وأزيحـي عـن وجـهِـكِ
لـونَ الحـزنِ
فـيـحـمـلَـهُ وجـهُ كـبـيـرِ الارهـابـيـينَ
بماخـورِ الاطـلـنـطـيِّ
وقـولـي بـلـسـانٍ عـربـيٍّ
لا تَـلْـكـنُـهُ نَـبـراتُ الـنِّـيـاتِ الحَـسَـنـةِ
او ضَـبْـطِ الـنـفـسْ:
يا عَـرَّابَ الارهـابِ الـكـاوْبـويْ
سـوفَ تُـعَـمَّـدُ فـي ماءِ المـتـوسِّـطِ هـانـوي.١

أيار . رمز النضال

إِرْفَع لِواءَكَ واسْتَمْكِنْ لَهُ طُنُبَا
لوْلاكَ ما زيلَ طُغْيَانٌ ولا غُلِبَا
مِنْ ساعِدَيْكَ اقام المَجْدُ دَوْلَتَهُ
غَرَّاءَ تَخْتَالُ في ثوبِ العُلا عَجَبَا
وبيْنَ كَفَّيْكَ فَيْضُ العَدْلِ جَارِيةٌ
اقْلامُهُ تَمْلؤُ الأَسفارَ والكُتُبَا
كَدَحْتَ في الارضِ حتَّى ازْدانَ ظاهِرُهَا
وفاضَ باطِنُها بالخيرِ وانْسَكَبَا
كَم ثورةٍ اُشعِلَتْ في الحقِ جَذْوَتُها
للكَادحِينَ فَكُنْتَ النَّارَ والحَطَبَا
وعانَقَ المنْجَلُ المِعْطاءُ في شَغَفٍ
شاكوشَكَ الفذَّ فاهْتَزَّ الوَرَى طَرَبَا
فالآلتانِ نشيدٌ خالدٌ أَبَداً
ما أَمحَلَ الزرْعُ او حدُّ الحديدِ نَبَا

* * *

أيارُ رَمْزَ النِّضالاتِ الَّتي انْطَلَقَتْ
زَحْفاً يردُّ الى المَسْلوبِ ما سُلِبَا
آيارُ يا مالئَ الدُّنيا بِبَهْجَتِهِ
ألا تُباهي بما انجَزْتَهُ الحِقبا
كانت سَموماً رياحُ القمْعِ تلفَحُهُم
فاصبحَتْ زَمْهَريرُ الكادحينَ صَبا
فَمَا مَرَرْتَ بِهم إلا بِذي مَرَضٍ
او نازفِ الجرحِ او شاكٍ لكَ السَّغَبا
والمالِكونَ سِيَاطٌ تحْتَ لَسْعَتِها
يَسْتَشْهِدُ الخَلْقُ مَنْهوكاً ومُنتَحِبَا
لَمْ يَنْجُ مِنْ عَسْفِهِم طِفْلٌ ولا امرأةٌ
وَلَمْ يُرَاعُوا لِصَرفِ الدَّهْرِ مُنْقَلَبَا

حتَّى تجَلَّيْتَ والطاغوتُ مُنْهَمِكٌ
يَعيثُ في الارضِ سلاَّباً ومُغْتَصِبا
زَلزَلتَها تحْتَهُ فارْتدَّ مُنْكَسِراً
يسلِّم الأمرَ مَقهوراً ومُرْتَعِبَا
وَقَدْ أعَدْتَ الى التَّاريخ مَنْطِقَهُ
وطُيِّرَتْ فَلْسَفَاتُ المُرْجفينَ هَبا

ثُمَ انْثَنَيتَ الى الأَيام تَنْفَحُها
في المَشْرِقَينِ ربيعاً ناضِراً خَصِبَا
وكُنْتَ نُوراً بِلا زيتٍ ولا أُفقٍ
تُضَاءُ مِنهُ نفوسٌ أُرْهِقَتْ نَصَبَا
فَفي صَبَاحِكَ شَمْسٌ غَيرُ غارِبَةٍ
وَفي مَسَائِكَ بَدْرٌ ليسَ مُغتَرِبَا

* * *

يا كَادِحَ الخَيرِ حَسبُ الكَونِ مُعْجِزَةً
أَنَّ الخُلودَ الى احْلامِكَ انتَسَبَا
وأَنَّكَ اليَومَ إنْجيلٌ لثورتهِ
في الغَربِ حَيْثُ طغى والشَّرقِ حَيْثُ كَبَا
لا يأخذُ الحَقَّ إلا عَزْمُ صَاحبِهِ
كَثفْ نِضَالكَ فالدُّنيَا لِمَن غَلَبَا

نيسان ١٩٨٦

كل ضحية وأنتم بخير

(كانت مجزرة صبرا وشاتيلا في أواسط أيلول ١٩٨٢.. وكان أيامها عيد الأضحى وقبله هلَّ عيد الفطر في أثناء الغزو الهمجي الإسرائيلي للبنان.. وهكذا.. قدَّم العرب للعيدين أضحية سمينة.. آلاف الرقاب الفلسطينية في معركة الغزو الذي استشرى في ظل مؤامرة الصمت العربية.. ومئات الرقاب في المجزرة المشؤومة. وهذه القصيدة بطاقة «معايدة» إلى الذين يدعون إنهم ورثة وأحفاد الرسول الذي بشَّر بالعيدين أصلاً.. عليه السلام.. وعليهم اللعنة!)

ودارَ.. ودارَ.. ودارَ الفلكْ
وعيدانِ في الأفقِ العربيِّ
يضِجَّانِ قتلاً
وشعباً ضحايا
ورتلاً مِنَ الأدعياءِ
يُقدِّم كلَّ التهاني
وينبحُ كالكلبِ : يحيا الملكْ
فكُلَّ ضحيةْ.. وأنتم بخير

* * *

صارتْ نخباً في كُلِّ كؤوسِ العربِ

دماؤُكَ يا شعبَ فلسطين
طينٌ.. طينٌ.. طينٌ.. طينْ

والمجْدُ الملكيُّ المترهِّلُ
في عانةِ جاريةٍ
يتباهى بالفتحِ الاسلاميِّ
ومعركةِ الناصرِ في حطينْ
طينٌ.. طينٌ.. طينٌ.. طينْ

يا هذا الوحلُ العربيُّ
بأي هجاءٍ
سوف نصبُّ على هذا المستنقعِ
نيرانَ التأبين؟
ولكن هو العيدُ
كُلَّ ضحيةْ.. وأنتم بخير

* * *

ثديٌّ..
عفواً.. اشلاءٌ من ثديٍ
تتقطَّر دمَّاً
يعلقُ في شفةِ رضيعْ
ضيعْ.. ضيعْ.. ضيعْ..
والمرصوفون كما الأخشابِ
على قمَّةِ فاسٍ

زعموا أنَّ حقوقَ الشعبِ المذبوحِ
على رُكَبِ جواريهم
ما كانت لتضيع
ضيعْ.. ضيعْ.. ضيعْ..

اينَ قراصنةُ العصرِ المشؤومِ
أروني
أقبحَ من هذا الطاقمِ
او اكثرَ منهُ شنيعْ؟
ولكن هو العيدُ
كُلَّ ضحيةْ.. وانتم بخير

* * *

بيروتٌ داليةٌ
اينعتِ الفوسفورَ عناقيداً
والرأسُ الملكيُّ
تأنَّقَ في مخدعِهِ الأمريكيِّ
عقالاً ذهبياً
وعشيَّةَ عيدِ الغفران
هناك رؤوسٌ في تلِّ ابيبِ
تلبسُ من نشوتها تاجَ التوراةِ
وتبعثُ للعدلِ وللسلمِ نبياً
ولكن هو العيدُ
كُلَّ ضحيةْ.. وأنتم بخير

* * *

ضغطوا أزرارَ الرشاشِ الحاقدِ
فاستيقظَ من رَقدتِهِ الموتُ
ولمْ يتحركْ للخائنِ جفنُ ضميرْ
قام الماردُ مجنوناً لحظةَ سطوتهِ
يحرقُ أطفالَ الثورةِ
والليلُ الانسانيُّ ضريرْ
مسكينٌ رادارُ الانسانيةِ
لم يكشفْ حجمَ المجزرةِ
أو لونَ بشاعتها
إلا في فصلٍ جاء أخيراً
او شبه أخيرْ
ولكن هو العيدُ
كُلَّ شهيدٍ.. وأنتم بخير

* * *

أنهارٌ.. أنهارٌ مِنْ دمٍّ
يسبحُ فيها الصمتْ
وسلاطينُ الرجعيةِ عوراتٌ
تتدهَّنُ بالزيتْ
وحجيجٌ حولَ الكعبةِ
يدعونَ بأن يحفظَ من سحلوهم
ربُّ البيتْ

أصبحنا في عصرِ السكتةِ
ماسوشيِّينَ
نلذُّ بضَرْباتِ السوطِ
ونرفع بالشكرِ.. الصوتْ

هَلْ هذا عيدٌ..
هَلْ هذا فرحٌ
هَلْ هذا وعيٌ
أم هذا الموتْ؟
موتٌ.. موتٌ.. موتٌ.. موتْ
ولكن هو العيدُ
كُلَّ شهيدٍ.. وأنتم بخير

* * *

إنَّ دماءَ الحيض
إذا نزَّتْ مِنْ ارحامِ فلسطينَ
تُشرِّفُهم
زعماءً.. رؤساءً.. أُمراءً
أشباهَ رجالْ
لكنَّ الشمسَ الشعبيةَ
لا بُدَّ ستحرقُهم
والحربُ سجالْ
ما دامَ جنينٌ
في بطنِ امرأةٍ من أرضِ النارِ

ينادي من حُجُبِ الغيبِ
أنا آتٍ يا أماهُ
أقودُ الى النصرِ الأجيالْ
ولكن هو العيدُ
والعيدُ خيرْ
كُلَّ شهيدٍ.. وأنتم بخير

في حلق الحاقد شوكة

هم في الحقيقة اكثر من حاقد، أولئك الجالسون على صدور الصفحات الأدبية وعلى صدور المؤسسات الثقافية. وهم ضالعون في الأمية حتى اللاذوق، ولأنهم «منتمون» حتى العمى، فإنهم ضالعون أيضاً في التعتيم على كل مَن ينتمي مبصراً.

أيُّها الموتورُ
فَلْتَضْرِبْ على شِعري الحِصَارْ

فأنا أُدْرِكُ
يا حقُودَ القلْبِ
أنِّي حينَ أُلْقي الشِّعرَ
يَدْوي في مساماتكَ رعْدٌ وانْفجارْ

سوف يبقى كوكبُ الشِّعرِ
مُضيئاً
يثْقُبُ الليلَ
وإن شَطَّ المدارْ

ما على البُلْبُلِ
في البُسْتانِ يَشْدُو
ان يكونَ الحارسُ المَربوطُ
مجنونَ السُّعارْ؟!

ما على الوَرْدةِ
والأنسامُ تَمْتار شَذَاهَا
ان يكونَ القاطفُ المَزْكومُ
في الصُبحِ غَبِيَّ الإمتيارْ

اجْمَلُ اللَوحاتِ لَو تَدْري
- ولكن كيف تدري؟-
لوحةٌ لا يحتويها
بالمساميرِ الإطارْ

فَإذا سَافَرَ بَعْضُ الناس قبلي
هَلْ يُبَالي
راكبُ البَرْقِ
إذا فاتَ القطارْ؟!

واضحٌ دربي
ولكنْ عادةً
حَائِزُ السَّبْقِ

يُثيرُ على مَن خلفَهُ في الدَّرْبِ
عجَّاتِ الغُبَارْ

يا خفافيشَ القَوَافي
إذْرَعُوا الليلَ كَمَا شِئْتُمْ
فَإنِّي جئْتُكُمْ
احْمِلُ في كفِّي النَّهَار
وعصا موسى
فأينَ الشَّعْوَذاتُ.. الإفْكُ
بل أينَ الثَّعَابيْنُ.. السَّحَالي
أيْنَ فَرْعُونُ الوصاياتِ
على أدبِ الرَّوْثِ وفِكْرِ الاجْترارْ؟!

أيُّها الموتورُ
فَلْتَضْرِب على شِعري الحِصَارْ

إنْ تَكُنْ أنْتَ على الرَّايةِ
لَلشعرِ اُسوِداداً
فأنا فيهِ
ابْيضَاضٌ واحْمِرارٌ واخْضِرارْ

تائهان على الطريق

إليهما.. كما رويا الموقف، ولم تُكْتَب لأيّ مِنْهُمَا الشهادة.. بلْ كُتِبَت لهما «المُشاهدة».. فأصيبت هي باليأس.. وظل الشاعر مصاباً بالشعر..

والذهول!

قالتْ وكانَ الدَّمْعُ مِلءَ جفونِها
يا شاعرَ الفقراءِ
إنَّ الحُبَّ أروعُ مُلهِمِ

ولَقَدْ أَتَيْتُكَ
والحنينُ إليكَ نيرانٌ
تسافِرُ في خلايا أعْظُمي

ماذا عليكَ
إذا سَرَقْنَا مِنْ سُوَيْعَات الزمانِ هُنيْهَةً
تَرْوِي ثناياكَ المضيئةَ مِنْ فمي

ماذا عليكَ
إذا غَفَوْنا لَحْظَةً

والليلكُ المَجْنونُ
يَشْربُ مِنْ دِماكَ ومِنْ دَمِي؟

أَنَسِيتَ أَنِّي في الربيعِ
وأنَّ حبُّكَ ياسَمِينٌ
في خميلةِ مَوْسِمِي؟

أَنَسِيتَ أنِّي ناهدٌ ظمآنُ
كَانَ إذا تشَوَّق للشَّرابِ
أفاءَ لَلنَّبْعِ المُسَلْسَلِ
في أناملِكَ الغزيرةِ بالرَّحيقِ المُبْهَمِ؟

أَنَسِيتَ أنِّي
كُنْتُ في لُغَةِ الهَوَى
قاموسَكَ المَحْبوبَ
رَغْم تَرَدُّدي وَتَلَعْثُمِي؟

ما لي أَرَاكَ اليومَ كالتِّمْثالِ
لا صوتي يُثِيرُكَ كالرِّياحِ
ولا اختلاجي
يَحْرقُ الشَّهْوَاتِ في عينيكَ
مِثْلَ الصاعقِ المُتضرِّمِ

يا شاعِري أزفَ اللقاءُ
فَقُمْ وَأمْطِرْني شَبَابَكَ والْثُمِ

دَعْ عَنْكَ هذا الشيءَ..
دَعْ شَيْطانَهُ
أدبُ السَّلامِ
إلى الشعوبِ
أحبُّ مِنْ أدبِ الحروبِ
فَهَلْ رَجَعْتَ إلى صِبايَ مُتيَّما لمتيَّمِ

* * *

كَفْكَفْتُ دَمْعَتَها
وَحَمَلْتُ أَمْتِعَتي
وكان الليلُ يَزْحف بالسَّوادِ المُتْخَمِ

وَجَعَلْتُ اَنْتَهِبُ الحروفَ
كأنني
ودَّعْتُ بَعْدَ اليَوْمِ
أصواتَ الحروفِ
وصِرْتُ في شَرْقِ الخطابةِ
أَخْرَسَاً في أَبْكَمِ

يا أُخْتُ

قَدُ سَقَطَ الكلامُ
فانْصتي وتعلَّمي

أنا إنْ لَمْ يُرَوَّ السَّهْلُ
والجَبلُ المحاصرُ
من دمي

أنا إنْ لَمْ تَكُنْ قَوْميَّتي
فَجْرَ الصراع
بديهَتي ومُسَلَّمي

فبأيِّ حقٍّ ادَّعي
وبأيِّ حقٍّ انْتمي
أنِّي فلسطيني
وأنَّ الثورةَ الحمراءَ
ما زالتْ
على دَرْبِ الحقيقةِ رائدي ومعلِّمي

* * *

مَسَحَتْ عن الخدِّ الدموعَ
تَمَلْمَلَتْ
كالماردِ المَكْبوتِ يَخْرجُ

ثائراً مِنْ قُمْقُمِ

وَتَأَبَّطَتْ عُنقي
وَسِرْنا
في طريقِ الفَجْرِ
والنبضُ الحبيبُ مُعَلَّقٌ في مِعْصَمِي.

مسافرون في الوهم

تَمُّوزٌ في خامس عِشْرينْ
يُرْفَعُ السِّتارْ
ويبدَأُ الحِوارْ
فاليومَ يكتبُ الثُّوارُ مسرحيَّةْ
في قرننا العشرينْ
وَمَسْرَحُ الثُّوارِ لامعْقولْ
المَشْهدُ الأَوَّلُ
رُبَّما يَنْتَحِرُ التِّنِّينْ
وَرُبَّما يكونُ
طَعْنَةً نَجْلاءَ للمُشاهدينْ
لكنَّها بدايةٌ نهايةٌ..
لا بأسَ.. فالمُهِمُّ
أن يمتزجَ الديكورُ بالممثلينْ
ويفرحَ الجمهورُ
بالتحديثِ والتجديدِ والمدارسِ العصريَّةْ
فَثَوْرةُ الثُّوارِ لم تَعُدْ هويَّةْ
والعُوْدةُ الحَمْراءُ لم تَعُدْ قضيَّةْ

* * *

كـي يفـهـمَ الـفـاشـسـتُ
لـغـةَ الأحـرارِ والحُـريَّـةْ
لا بُـدَّ مِـن أن يُـصبِـحَ الـكِـتـابُ بُـنـدقـيَّـةْ
ويُـصبـحَ الـرصـاصُ أبـجـديَّـةْ.

كابوس

أرى الليلَ كالليلِ
طالَ.. اكْفَهَرَّ
فلا الشَّمْسُ تُنْقِذُهُ بالضياءِ
ولا الغَيْمُ يمنحُ نورَ النجومِ
جَوَازَ المرورِ
إلى الأعْيُنِ الحُرَّةِ السَّاهِرَةْ

أُهَدْهِدُ قلبي
فَيَقْفِزُ طِفْلانِ في عُمُرِ اليأسِ
حُزْني وشوقي
وفي لحْظَةٍ يَكْبرانِ
كما الماردَيْن
فَيَسْقطُ رأسيَ ما بينَ كَفَّيَّ
كما يسْقُطُ الورقُ المُضْمَحلُّ
أمامَ العواصفِ
يَنْتَفِضُ الألمُ العَبْقَريُّ
وَيَشْحَذُ سِكِّينَهُ في الخاصِرَةْ

تناولْ شرابَكَ
يا ايُّهذا الشَّقيُّ
لَعَلَّكَ تَنْسى الشريطَ
الذي يقْهَرُ الذَّاكِرَةْ

تذكَّرْ إذا شِئتَ
صَمْتَ العروبَةِ
في يومِ بيروتُ تنزفُ
لونَ الشَّقائِقِ
والحاكمونَ النَّشامى
يبولونَ تحتَ السَّراويلِ
نَفْطاً
وشهرُ الصِّيامِ خجولٌ بأُمَّتِهِ
- تُعْلِنُ الصَّومَ -
وهيَ على دمِنا فاطِرَةْ

فأيقَنْتُ أنَّ الجروحَ
دفاترُ
والحِبْرُ إنْ كانَ أحمَرَ
لا يَمَّحِي
وإنْ تَكُ دارتْ
على سافِكِيهِ
وَمَنْ سرَقُوا لَوْنَهُ.. الدائِرةْ

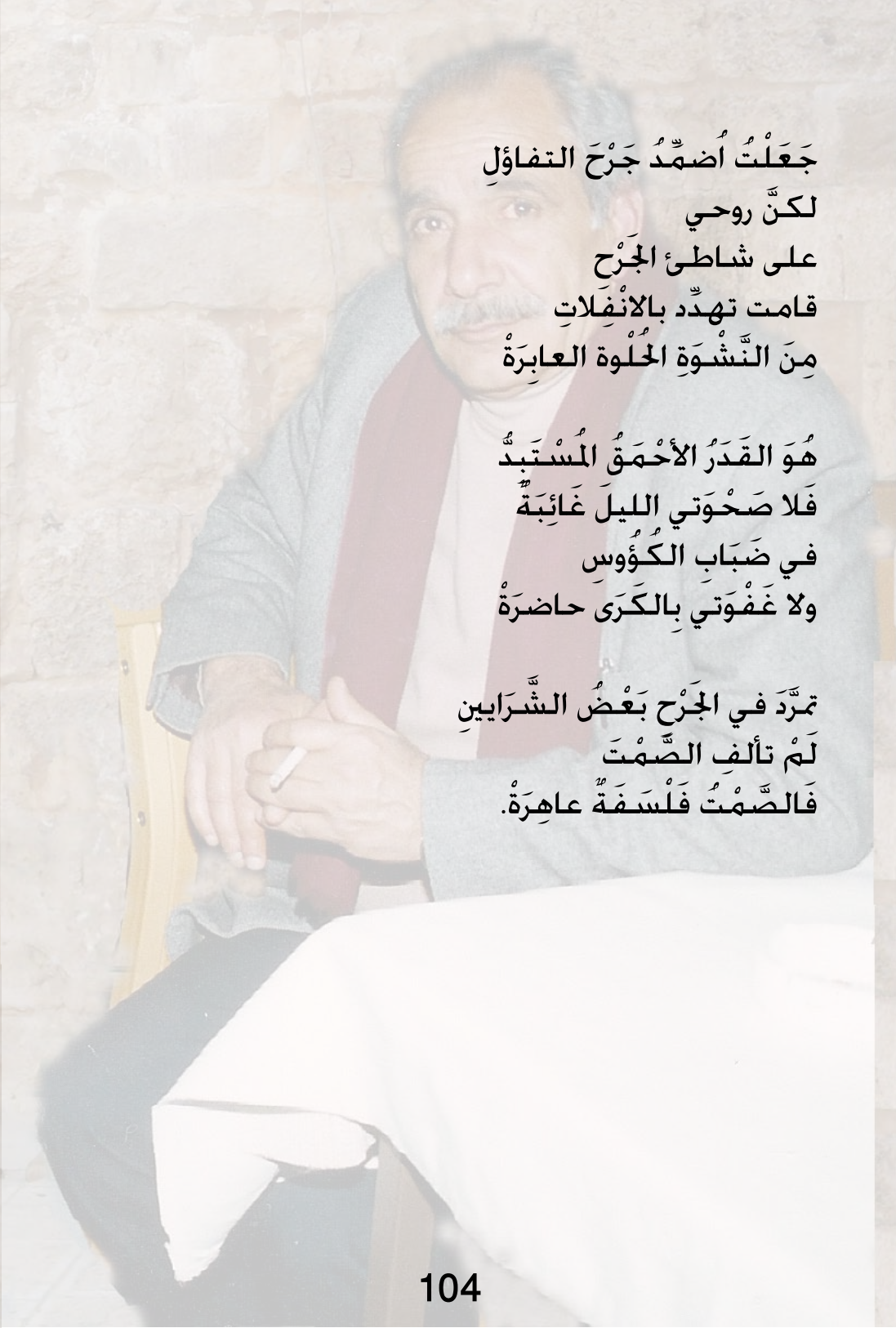

جَعَلْتُ أُضمِّدُ جَرْحَ التفاؤلِ
لكنَّ روحي
على شاطئ الجَرْحِ
قامت تهدِّد بالانْفِلاتِ
مِنَ النَّشْوَةِ الحُلْوة العابِرَةْ

هُوَ القَدَرُ الأحْمَقُ المُسْتَبدُّ
فَلا صَحْوَتي الليلَ غَائِبَةٌ
في ضَبَابِ الكُؤُوسِ
ولا غَفْوَتي بِالكَرَى حاضِرَةْ

تمرَّدَ في الجَرْحِ بَعْضُ الشَّرَايينِ
لَمْ تألفِ الصَّمْتَ
فَالصَّمْتُ فَلْسَفَةٌ عاهِرَةْ.

بدون الهام

أَلأَنني أصبحت مقروحَ الجروحِ
فإنني أمسيت مجروحَ القريحةِ
والملائكةُ الذين تنزَّلوا بالوحي
غضُّوا الطرفَ
عن شعري البدائي؟

ماذا يقولُ الشاعرُ المقهورُ
حينَ تمرَّدتْ
كُلُّ المعاني المُثخناتِ
وضاجعتْ في القبرِ
كُلُّ الأبجدية والهجاءِ

ماذا يقولُ
وقدْ توقَّفتِ النُّجومُ
عن التلؤلؤ
فوقَ أنقاض المساءِ؟

مِنْ أين يستوحي

وقد فُقِئَتْ
عيونُ الوردِ
في حَلْقِ الضياءِ؟

مِنْ أين يستوحي
وما عاد النبيذُ المزُّ
يجري في شرايين النساءِ؟

لم يبقَ في جسد الحقيقةِ
غيرُ روحِ الرفضِ
والقلبِ الفدائي

حلم في لحظة واعية

تَرْكضُ الخيلُ
تعُضُّ لجاماً من حديدِ الرفضِ
والمِهْمازُ
قلْبُ الفارسِ المَشْحونِ وعياً
وأنا في سِيَاجِ القَهْرِ
أُضْحكُ مِنْ رَيَّثِ خُطَايْ

ذلكَ الجسْرُ لهيبٌ
يَحْرقُ العَزْمَ
وتَمْضي قافلاتُ العُهْرِ
تَمْضي في قطارِ الشَّرْقِ
اشباحاً تَرْتَعُ الليلَ
وتَقْتلُ في عيوني
ما تبقَّى مِنْ رؤايْ

أتمطَّى فَوْقَ قِيثارةِ حُزْني

نامت الأوتارُ
واللَحْنُ مُسَجَّىً
في نخاعِ الشَّوْكِ
والشوكُ مُسجَّىً في مُنَايْ

أيُّها النَّجْمُ تلألأ
يَفْرحِ الجَرْحُ ويشفى
واسكبِ النورَ خيوطاً
إنَّ روحِي
تقرؤُ الإرهاصَ
ما عُدْتُ حزيناً
لاُغْترابي عَنْ سمايْ

يملؤ الشَّلالُ قلبي
والنقاءُ العَذْبُ في الصَّدْرِ رَذَاذٌ
يَمْسَحُ اليأسَ
ويحْملُ للأرضِ أَسَايْ

لَحْظةُ الحِقْدِ:
فقيرٌ تَحْتَ سورِ القُدْسِ،
صبيٌّ في مُخَيَّمْ
يَلْبسُ العُرْيَ،
شهيدٌ مَيِّتُ الثأرِ

وَنَذْلٌ
يَسْحَبُ الأرضَ لِتَجْثو رُكْبَتَايْ

لحظةُ الحبِّ: انفجارٌ
لاحِظوا
آكِلُ السورِ تقيَّأْ
باتت الناووس ثَكْلَى
خَيْمَةُ الحِرْمَانِ قَصْرٌ
وَالزَّنازينُ خميلَةْ
والقَمِيءُ الوغْدُ يَسْتَجْدي حِذَائي
كفِّنوهُ
سوف امشي حافياً
لم يعُدْ في الأرضِ شوكٌ
كيف تدمى قدمايْ

أُنْظُرُوا
ها هُو الأفْقُ
شعاعٌ.. ليْلَكٌ
طِفْلَةٌ تضْحكُ مِنْ دُمْيَتِها
بُلْبُلٌ يَنْسِجُ العُشَّ
فراشٌ يَحْرُثُ العِطْرَ.. وَنَايْ..

أنشودة للوطن

فَدَيْتُ بمُهْجتِي وطنَاً أبيَّا دَرَجْتُ على مَرَابعِهِ صَبيّا
سَيَبْقَى ما بَقيتُ حِمَىً عَصِيَّا عَلَى سَهْمِ الغُزاةِ وعَبْقَرِيَّا

اَمَا رَبَّيْتَ يا صَدْراً حَنُوْنَاً شَبَاباً من قَنَاةٍ لَنْ تَلِيْنَا
حَلَفْنَا فَوْقَ تُرْبتِكَ اليَمِينا لَنَغْرِسَ تَحْتَ قِمَّتِكَ الثُّريا

أَبَيْتَ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَ عَارُ ونَارٌ لا يُطاقُ لَها أُوَارُ
سنُطْفِئُهَا وَإِنْ طَالَ الحِصَارُ وَنَرْوِي غُلَّةَ التَّاريخِ رَيَّا

وَرَايتُكَ المَجيدةُ في الأعالي سنَنْسِجُها بَأَفْئِدَةِ الرِّجَالِ
وَنَزْرَعُها بِرَاسِخَةِ الجِبَالِ وَنَلْبَسُ حُلَّةَ الأحْرَارِ زِيَّا

غَدَاً بالعِلْم لا بالتُّرَّهَاتِ وَبالأعْمَالِ لا بالأُمْنِيَاتِ
سَنَصْنَعُ يا بِلادي المُعْجِزَاتِ وَنَمْلَؤُ مُظلَمَ الآفاقِ ضَيَّا

بيُسْرَايَ الْكِتَابُ وفي يميني سِلاحي والأصالةُ في جبيني
وبيْنَ الحُلْم والعِلْمِ اليقيني رَصَاصَاتٌ عَشِقْتُ لَهَا دَوِيَّا

فلسطينٌ لِلاجِئِها مآبُ ولو غُمِسَتْ بِأَحْمَرِها الحِرَابُ
وَجُولانُ الْكَرَامَةِ والهِضَابُ لِمَنْبَعِهَا وَرَافِدِها سُوريَّا

حزيران ١٩٨٧

زَقْزَقَات... عَلَى كَرَز الحَرَمْلِك

«تغريدات غزلية»

إلاَّ أنني شاعر

أنا يا حُلوتي لا شيءَ..
إِلا أنَّني شاعِرْ

رصيدي في بنوكِ الأرض:
عاطفتي
وإحساسي
وقلبي الرافضُ الثائِرْ

أنا يا حُلْوَتي
لا مَالَ
لا أطيان
لا أملاكَ
لا ماضي.. ولا حاضرْ

ولكنْ
مَنْ تُرى يدري
لعلَّ غداً

قُرُنْفُلَةٌ تناغيني بلابلُها
فأمْرَحَ في حواشيها
وفوقَ أصيصِها
طائرْ!!

أنا يا حُلْوتي لا شيءَ..
إِلا أنني شاعِرْ

مقدسية

أراكِ
فَيلْمَعُ في الرُّوحِ برقٌ
وينْسابُ في القَلْبِ
شَلالُ زَعْتَرْ

وَحين يُطالعني وجْهُكِ المقدسيُّ
تَذوبُ بعَيْنيَّ
قِطْعةُ سُكَّرْ

وأشْربُ مِنْ كأسِ خمري
فأصحو..
وأشربُ مِنْ كأسِ عينيكِ
أسْكَرْ..

مجنونة

حبيبتي مجنونةٌ
في الطَّرحِ والحلولْ

تُريد أن تكونَ
نُسْخةً مطبوعةً
عن مرأةٍ شرقيَّةٍ
مقروءةِ الفصولْ

ولا تُريد أن تكونَ
« كمْشةً» من الألغازِ
تَبْهَرُ العقولْ

تريد أن تكونَ
ساعةً في حائطٍ
لا فترةً مجهولةً

في زمنٍ مجهولْ

حبيبتي تُريدُ أن تكونَ
وردةً ذابلةً
في غُرفةِ الضيوفْ
لا جَدْولاً مُنتشياً
بخمرةِ الحقولْ

حبيبتي مجنونةٌ
لأنَّها تُريدُ أن تعيشَ
في المعقولْ!!

عجولة

تَرَفَّقي بِحُبِّنا
يا حُلْوتي
ترفَّقي

ألستِ تعلمينَ
أنَّ منْطقَ العُشَّاقِ
أنْ لا يخضعوا
لأيِّ منطقِ

وأننا إذا التقينا دائماً
تَرَهَّلتْ قلوبُنا
وثارَ فينا الشَّوقُ للفِراقِ
كيْ نعودَ
مرَّةً ثانيةً.. ونلتقي!

خبيثة

حبيبتي تقول إنَّها :
خبيثة!
يا روعةَ الدلالِ
عندما يكونُ ثالثَ
الجمالِ والأنوثةْ

حبيبتي..
مُفْردةٌ
أغيب في حروفها
كما يغيب مُدمنُ الأفيون
فتستوي في خاطري
الشُّكوكُ واليقينْ

حبيبتي..
معجونْ
جوهرُهُ من جوهرِ الجنونْ

حبيبتي
قصيدةٌ لشاعرٍ
أجادَ في بنائهاً
وأبدع المضمونْ

مسافران

قلبي وقلْبُكِ
دَمْعَتانْ

روحي وروحُكِ للفِراقِ
قصيدتانْ

وأنا وأنتِ مُسافرانْ
كلٌّ إلى عَكْسِ المكانْ

فمتى يعودُ
إلى عقاربِهِ الزمانْ؟

ومتى نكفُّ عَنِ الرَّحيلِ
ونلتقي
شفتيْنِ في شفتيْنِ
تَحْتَ رفيفها
تلهو وتلعبُ
في مراجيحِ الأصابعِ
حلمتانْ؟!

عنواني

يا فَرْحةَ القلبِ إنَّ الشوقَ أضناني
وأيْقَظَ الحُزْنُ في عينيكِ أحزاني

لا تَيْأسي فَهُمومُ الدَّهْرِ زائِلَةٌ
وَأَنْتِ خالِدةٌ في زَهْرِ نيْسانِ

أنا ما لَثَمْتُكِ لا خَدّاً ولا شَفَةً
وَكَمْ حضنتُكِ في روحي ووجداني

يا غادتي إنني طَيْرٌ بلا فَنَنٍ
لكَنْ وجَدْتُ على نَهْديكِ عُنواني

قلبان

ليلى.. فَدَيْتُكِ بالمطارفِ والحَشا
وعصير أوردتي.. فعيشي واسْلَمِي

جَرَحَتْ جُروحُكِ مُهْجتي وجوانحي
وانْسابَ حزنُكِ في خلايا أَعْظُمي

أنا.. أنتِ رَغْمَ البُعدِ فيما بيننا
نَبضاتُ قَلْبِكِ خافِقاتٌ في دَمي

عيناكِ إِشعاعٌ يُضيءُ حقيقي
ويقودني عَبْرَ الزَّمان المُظْلِمِ

فَتدفَّقي أُنثى على شُطآنها
ألقيتُ مِرْسَاتي ونامتْ أَنْجُمي

رسائل بلا عنوان

لَكَأنِّي أشعلْتُ شُموعي
في صَوْمَعَةٍ
لا يسْكُنُها رُهْبانْ

لَكَأنِّي
طَيَّرتُ عصافيري
في وادٍ
لا ماءٌ فيهِ ولا أغصانْ

لَكَأنِّي غَنَّيتُ مواويلي
في ليلٍ
مقطوعِ الأوتارِ
ومبحوحِ الألحانْ

لَكَأنِّي ألقيتُ بُذوري
في أرضٍ
لا تعشَقُ رائحةَ الوردِ
ولا تعرفُ طعمَ الرُّمانْ

لَكَأنِّي ارسلتُ جميع مكاتيبي
لَكِنِّي
أَخْطأتُ العُنْوَانْ

فلماذا العجلةُ يا قلبي
ولماذا طاوعتَ الوَجْدَ
وأعْلَنْتَ على العَقْلِ العصيان؟

مجنونٌ.. مجنونٌ يا قلبي
فَاشْرَبْ مِنْ جَرْحِكَ كأساً
وامْسَحْ بالدَّمْعِ الذاكرةَ الرَّعْناءَ
لعلَّكَ تظْفرُ
بالنِّسيانْ

وإذا هاجَتْكَ الذِّكرى
فاغْرقْ في الحُزْنِ
ألَسْتَ العاشقَ للأحزانْ؟!

عيد

جميعُها الأعيادُ يا حبيبتي
جميعُها
جاءتْ وراحتْ عَبَثاً
كَأَنَّها أُغنيةٌ جميلةٌ
يَعْزِفُها غُرابْ

أو زورقٌ بِغَيرِ دَفَّةٍ
يُبْحِرُ في سَراب

لكنَّ هذا العيدَ يا حبيبتي
عيدٌ بِطَعْمِ العيدْ

نَكْهتُهُ جديدةٌ
وعِطْرُهُ جديدْ

عُيُونُهُ سعيدةٌ
ووجهه سعيدْ
فكيفَ يا حبيبتي

تَغَيَّرت بوصلةُ البحَّارِ
والشِّراع؟

وكيفَ عاد للربيعِ أقحوانُهُ
وعاد للأشعارِ عندليبُها
والوترُ المفقودُ
والابداعْ؟

وكيفَ عاد للنُّجومِ
شَكْلُها ولونُها
والنُّورُ والشُّعاعْ؟

لَعَلَّنا.. حبيبتي
لَعَلَّنا..
يومَ التقينا صُدْفةً
تَسَلَّقتْ على جدار الكونِ حولنا
رُزنامةٌ قُدسيَّةُ الايقاعْ

تَبَرْعمَ العيدُ على أوراقِها
واستغفرتْ أيَّامُنا عن ذَنْبِها
واندثرَ الضَّياعُ
في الضَّياعْ!

تعالي.. على غير مهلٍ

وحينَ تجيئينَ يَوْماً..
سيخرجُ قلبي إلى باب صدري
ويكتب بالنبضِ:
أهلاً وسهلا

ويقفزُ مِنْ رِمْشِ عيني
فَـراشٌ
لينْثرَ حولكِ ماءً وظِلاًّ

وتنتفضُ الروحُ مِنْ عُـشِّها
لتفرشَ تَحْتَكِ
وَرْداً وَفُلاًّ

وتصبحُ كلُّ الشرايين كأساً
وكُلُّ دمائي
شراباً مُحلًّى

وحينَ تجيئينَ
تأتي القوافي
وترقصُ بينَ النَّوَافيرِ
جذلى

تعالَيْ إليَّ على غيرِ مَهْلٍ
وَهَلْ يَصْدقُ الوعدُ
إنْ جاءَ مَهْلا؟

تعالَيْ إليَّ - إذا جِئْتِ -
بَرْقاً
لئلا تضيعَ الثَّواني.. لِئَلا

تعالَيْ لأروي البساتينَ
ماءً
وأزرعَ بينَ الحشائشِ
طفْلا

أريدُكِ ثوْرَةَ حُبٍّ جديدٍ
فعهْدُ التقاليدِ عَهْدٌ تَوَلَّى

أريدك كالنَّارِ
روحاً وجِسماً

أريدُكِ كالنُّورِ
فِكْراً وعقْلا

لَئِنْ كانَ طَيْفُكِ في النَّفْسِ
حُلْواً
فَإنَّ حُضورَكِ في العَيْنِ
أحْلى

فوزي البكري

قيل عن فوزي البكري وعن ديوانه
قناديل على السور الحزين:

وفوزي - كما أزعم - هو أهم شعراء «الأرض المحتلة» حتى مع إهماله، ولكنَّها في حالته أهمية إبداعية لم تترجم إلى انجاز إعلامي لأنَّ فوزي ليس من أوغاد المرحلة.

الشاعر أحمد حسين

فوزي البكري، شاعر القدس القديمة أو ربما حزينها الوحيد ومهرها الحرون، اهتمام الشاعر بالقدس إنما هو تلاحم مع مكانه الوحيد في هذا العالم، دفاعا عن الألفة التاريخية بين الإنسان الفقير، بين الشاعر المرهف ووطنه.

الدكتور عادل سمارة

أما «أبو إسلام» فهو الشاعر الأول والأبرع، صعلوك من القدس القديمة، هو ظاهرة تتعزز بثقة في المشهد الثقافي الفلسطيني والمقدسي، لا يزال قابضاً على إنسانيته بالنواجذ. صاحب القناديل المضيئة في عتمة ليل المدينة المحتلة.

محمد حمزة غنايم

فوزي البكري، يكتب القصيدة، تتمرد عليه، لا يسعها صدره الكبير فيطلق سراحها، حتى لا تنفجر فيه، ويتناثر معها. يتنازل عن كيانه وكل ملامحه ويركب صهوة صعلكته. ويمد لسانه لكل من يرطن بلسان غير عربي في حواري القدس.

غريب عسقلاني

بعد تجربة الشاعر المقدسي فوزي البكري في الصعلكة، لم تتوفر لنا تجربة أخرى، نفخر بها، ننحني لها، كان البكري وما زال رجلاً غريباً عن محيطه وأمكنته وأصدقائه، غريباً بالمعنى الجمالي والإبداعي، لم يتورط يوماً بمدح مسؤول أو بتسلّق كتف أو السكوت أمام خطأ..

زياد خداش

ندرة من الشعراء ظلّوا قابضين على جمر مواقفهم، منذ بداياتهم وحتى نهاياتهم، وفوزي في طليعة هذه الندرة. شاعر لا يهادن ولا يساوم، فوزي الفقير، كريم اليد والروح، يعطيك من روحه خلاصتها.

الشاعر باسم النبريص